وزارة التعليـم العـالـي والبحـث العلمـي
جـامعـة العربـي التبسـي – تبسـة–
كلـيـة الآداب واللـغـات
قـسـم اللغـة والأدب العـربـي

أسلـوب الالتفـات فـي القـرآن الكـريـم
سـورة النسـاء أنمـوذجـا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر (ل. د. م) فـي اللغة والأدب العربي تخصص: لسانيات عربية

إعـداد الطالبـتيـن:
- إيمـان عمـروش
- عـواطف صـوان

إشـراف الأستـاذ:
*الطيـب جبـايلـي

لجنـة المنـاقشـة:

الاسـم واللـقـب	الـرتبـة العلميـة	الجـامعـة الأصليـة	الصـفـة
عبد العزيز جـدي	أستـاذ مساعـد –أ–	جامعة العربـي التبسي–تبسـة–	رئيسـا
الطيـب جبايلـي	أستـاذ محاضـر –أ–	جامعة العربـي التبسي–تبسـة–	مشـرفـا ومقـررا
قـدور سـلاط	أستـاذ محاضـر –أ–	جامعة العربـي التبسي–تبسـة–	منـاقشـا

السنـة الجـامعيـة: 2018-2019 م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

النساء – الآية 01

شكر وتقدير

إن خير فاتحة للشكر والتقدير تكون لله وحده عز وجل فالحمد لله على أن الأعمال لا تتم إلا بتوفيقه وسداده.

واللحظات لا تطيب إلا بذكره والشكر له على نعمه الوافرة على أن وفقنا في إنجاز هذا العمل، وإلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا وخاتم الأنبياء محمد ﷺ.

نحن الآن نطوي سهر الليالي وتعب الأيام، وخلاصة مشوارنا بين دفتي هذا العمل نتقدم بأسمى آيات الشكر والامتنان والمحبة والتقدير إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة، جميع أساتذتنا الأفاضل وخاصة الأستاذ المشرف على هذه المذكرة **د- الطيب جبايلي** على توجيهاته ومجهوداته التي قدمها لنا ولا ننسى الشكر إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد، وإلى من شجعنا وزرع فينا روح التفاؤل جزيل الشكر إلى السيد رئيس القسم (قسم اللغة والأدب العربي)، ولا ننسى الأستاذة عمروش فاطمة لوقوفها ومساندتها لنا، وإلى عمال المكتبة الذين لم يبخلوا علينا بمديد المساعدة والتوجيه.

وختامه فإن أصبنا فمن الله وحده، له الشكر والحمد على ذلك، وإن أخطأنا فمن أنفسنا، فلنستغفر الله ونتوب إليه وهو خير الحافظين.

الإهـداء

أهـدي هـذا العمـل إلى الـذين بـذلا علي الـنفس والنفـيس لبلوغ أعلى مرامي هذه المرتبة إلى أمي الغالية.

إلى أبي الذي اختطفته يد الردى دون أن تمهل له حضور هـذا المبتغى... رحمـه الله ووسـع مدخلـه إلى الجنـان وجـزاه عني خير ما جزى والدا عن ابنته.

أهدي ثمرة هذا الجهد إلى كل شخص كان بجنبي ودعمني للوصول إلى هذه المرحلة.

مقدمة

المقـدمــة:

الحمد لله الذي لم يستفتح بأفضل من اسمه كلام، ولم يستنتج بأجمل من صنعه مرام جاعل النطق أفضل الصفات البشرية والسبل المؤدية إلى معرفة العلوم الشرعية والعقلية نحمده سبحانه حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على رسوله الأمين الذي بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة.

إنّ القرآن الكريم هو الأصل الأول من أصول البلاغة العربية لأن ألفاظه هي لبّ كلام العرب وزبدته وعليه اعتمد العلماء والفقهاء أحكامهم وحكمهم، كما أن القرآن منهل من مناهل الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم.

فسبب اختيارنا هذا الموضوع ألا وهو: أسلوب الالتفات في القرآن الكريم سورة النساء أنموذجا، هو ربط الدراسات البلاغية بالقرآن الكريم لأنه خير العلوم وأشرفها، ولعل هذا ما حدا بنا إلى أن ندلو بدلونا في مثل هذه الدراسات القرآنية لنستجلي من خلاله كنوز المعرفة والعلم بمواطن إتقان اللغة العربية.

دفعنا أيضا لاختيار هذا الموضوع اكتشاف بعض من أسرار البلاغة القرآنية بالإضافة للطابع اللغوي الخاص الذي يحمله القرآن الكريم في مفرداته وتراكيبه وأسلوبه.

وقد دفعتنا الكتابة في هذا البحث: رغبتنا في التدبر والتأمل في كتاب الله تعالى انطلاقا من دعوة الله عز وجل إلى ذلك إذ قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ سورة ص الآية 29.

إنّ البحث في هذا الموضوع يتطلب منا تصورات مبدئية عن النتائج تفرض علينا الانطلاق من مجموعة من الأسئلة لنتدرج من خلالها ربط الأهداف المرجوة في بحثنا هذا وأولى هذه التساؤلات:

– كيف يمكننا أن نفهم و نطبق أسلوب الالتفات كظاهرة بلاغية اعتمدت في القرآن الكريم وجعلته منزها عن التقليد؟.

كما أنّ المطلب من وراء هذا البحث الاستفادة من الأسلوب القرآني في لغته، والتحلي بالقيم القرآنية النبيلة في حياتنا المعيشة، وإزاء هذه التساؤلات ضبطنا منهجيتنا إلى مقدمة

وفصـلين نظـريين، الفصـل الأول: (بـين البلاغـة والإعجـاز)، والفصـل الثـاني: (أسـلوب الالتفات)، وفصل تطبيقي، وأنهينا بخاتمة جامعة لأهم النتائج المحصل عليها.

كما أننا اعتمدنا المنهج الوصفي في تحليلنا لآيات الصور المتضمنة نماذج وصيغ الالتفات وقد استعنا بالمنهج الإحصائي في رصد الجداول الموضحة لصيغ الالتفات.

واعتمدنا لإنجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع التي ساعدتنا في ذلك نذكر منها:

- البلاغة تطور وتاريخ: شوقي ضيف.
- مدخل إلى البلاغة العربية (علم المعاني، علم البيان، علم البديع): يوسف أبو العدوس.
- قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية: عبد العزيز عبد المعطي عرفة.
- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية : حسن طبل .
- تفسير الكشّاف: الزمخشري.
- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور...

ومن الصعوبات والعراقيل التي صادفتنا أثناء انجاز بحثنا:

- صعوبة البحث في القرآن الكريم، وتوخي الحذر في دراسته.
- صعوبة إصدار الأحكام تجاه النص القرآني.

الفصل الأول: بيـــن البـــلاغـــة والإعـجـــــاز

المبحث الأول: نـظـرة تـــاريخيـــة لعلـــم البـلاغـــة

المطلب الأول: النشـــأة والتطـــور

- فـــي العصـــر الجـاهلـي
- فـــي عصـــر صـدر الإســـلام
- فـــي عصـــر بنـــي أميـــة

المطلب الثاني: مـــرحلـــة النمـــو

- العصـــر العبـــاســـــي

المطلب الثالث: مرحلـة الازدهـار والتطـور "النضـج والاكتمـال"

المطلب الرابع: مـرحلـة الجمـود والتعقيـد

المبحث الثاني: فـــي البـــلاغـــة العـــربيـــة

المطلب الأول: عـوامـل نشـأة البـلاغـة العـربيـة

المطلب الثاني: مفهـــوم البـــلاغـة العـربيـة

المطلب الثالث: البـلاغـــة اصطـلاحـا بيـن القـدامـى والمحدثيـن

المبحث الثالث: الإعجـــاز البلاغـي القـرآنـــي

المطلب الأول: تعـريـف القـران الكريـم والإعجـاز والمعجـزة

1. تـعـريـف القـرآن الكـريـم:

2-تعـريـــف الإعـجـاز والمعجـــزة

المطلب الثاني: البـــلاغـــة والقـــرآن

المطلب الثالث: الصلـة بيـن البـلاغـة والإعجـاز القـرآنـــي

المبحث الأول: نظـرة تـاريخيــة لعلـم البلاغــة

لمعرفة تاريخ البلاغة العربية لا بد لنا من معرفة واضحة وبدايتنا ستكون بمرحلة:

المطلب الأول: النشـــأة والتطـــور

امتدت هذه المرحلة من العصر الجاهلي إلى غاية العصر الأموي:

- **فـي العصـر الجـاهلـي:**

البيان والفصاحة والبلاغة فن يقوم عليه الأدب وقد عرف عند العرب فبلغوا في الجاهلية درجة عالية في هذا الفن إذ صور القرآن الكريم ذلك ﴿الرَّحْمَٰنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ(4)﴾،[1] وكذلك قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾.[2]

ومن أكبر الدلالة على ما حذقوه من حسن البيان ، كانت معجزة الرسول وحجته القاطعة لهم ألا وهو القرآن الكريم، أن دعا أقصاهم وأدناهم إلى معارضة القرآن في بلاغته الباهرة وهنا بلا شك دعوة تدل بوضوح على ما أتوه من اللسن والفصاحة والقدرة على حَوْك الكلام، كما تدل على بصرهم بتمييز أقدار الألفاظ والمعاني ومن جودة الإفهام وبلاغة التعبير.[3]

ولقد أحل العرب في هذا العصر لغتهم المحل الأول، فكان لا يكون العربي في نظرهم كاملا ما لم يبلغ من لسانه الغاية، وكان من يبلغ بلغته نثرا أو نظما منزلة رفيعة من الخطابة أو الشعر فيكون له منزلة أرفع بين قومه وأبناء عشيرته مبلغا عظيما بين القبائل والعشائر، ولذلك كانوا إذا نبغ منهم شاعر،[4] أو خطيب جعلوه لهم فخرًا.

وقد كانت للعرب أسواقهم الأدبية يتوافدون عليها من كل حدب وصوب، يسود فيها جو من فصاحة اللسان ونصاعة البيان.[5]

---

[1]– سورة الرحمان: الآية 01-04.

[2]– سورة البقرة: الآية 204.

[3]– البلاغة تطور وتاريخ: شوقي ضيف، دار المعارف، الإسكندرية، ص 9.

[4]– الموجز في تاريخ البلاغة، مازن المبارك، دار الفكر، ط 2، 1981 م، ص 23.

[5]– الموجز في تاريخ البلاغة: مازن المبارك، ص ص 23، 25.

وقد لقبوا شعراءهم ألقابا تدل على مدى استحسانهم فمنهم "المُهَلْهِل والمرقَّش والمثقَّب والمنخَّل والمتنخَّل والأفوه والنابغة..." ، وكما كان هناك ذوق عاما دفع الشعراء ومن ورائهم الخطباء إلى تحبير كلامهم وتجويده. ومما لا شك فيه أن أسواقهم الكبيرة هي التي عملت على نشأة هذا الذوق، وخاصة سوق "عكاظ" بجوار مكة، إذ كان الخطباء والشعراء يتبارون فيها، وكل يريد أن يحوز قَصَبَ السبق لدى سامعيه دون أقرانه.

كان النابغة "الذُّبْياني" يحكم بين الشعراء الناشئين، فمن نوَّه به طارت شهرته في الآفاق، فكان يبدي بعض الملاحظات على معان الشعراء وأساليبهم، ويُقال أنه فضَّل "الأعشى" على "حسان بن ثابت" وفضَّل الخنساء على بنات جنسها، فثار "حسان" عليه، وقال له: أنا والله أشعرُ منك ومنها، فقال له "النابغة" حيث تقول ماذا؟ فقال:

لنا الْجَفناتُ الغر يَلْمعنَ بالضحى..... وأسيافنا يقْطُرن من نَجْدَةٍ دمَا

وَلَدنا بَني العَنقاءِ وَابني مُحَرِّقٍ..... فَأَكرِم بِنا خالاً وَأَكرِمْ بِنا اِبْنَما

قال "النابغة": "إنك شاعر لولا أنك قلَّلْت عدد جِفانك وفخرتَ بمن ولدتَ ولم تفخر بمن ولدك. فقام حسان منكسرا منقطعا".[1]

من هذا الكلام نرىأنّ اهتمامهم بلغتهم وتلقيبهم لشعراء القبائل دليل على إحسانهم وجودة ذوقهم.

أمّا الأمثلة فهي عديدة ومتنوعة التي تبيِّن أنَّ العرب في العصر الجاهلي كانوا يتمتعون بحسن اختيار الألفاظ ويقفون عند تنميقها وتنظيمها، وتمييز الكلام جيده من رديئه، فالبلاغة في هذا العصر سليقة ...

- **فـي عصـر صـدر الإســلام:**

ظلت البلاغة في تطور مستمر حتى بعد ظهور الإسلام، بفضل ما نهج القرآن ورسوله الكريم أثرا عظيما في هذا العصر إذ أنه تحدى فصاحة العرب وبلاغتهم.

سمع العرب آيات القرآن المبين فدهشوا بما عرفوا فيها من أساليب البلاغة، وحاروا في تعليل دهشتهم وإعجابهم، وهم أهل اللغة وأرباب البلاغة لقد سمعوا لغة من لغتهم وجملا من

[1]– البلاغة تطور وتاريخ: شوقي ضيف، ص ص 10، 11.

حروفهم ولكنهم لم يسمعوا قبلها مثلها في نثر ناثر، ولا شعر شاعر، ولا سجع كاهن، حتى قال قائلهم: "إنه سحر ساحر".[1]

كان الرسول ﷺ أفصح العرب قاطبة، وفصاحته هي بلاغته في دائرة القرآن الكريم،[2]وأسوة العلماء والأدباء، كان رسول البيان لأهل البيان، وقد حثَّ على تعلُم القرآن و تعليمه، وجعله أشرف رسالة في الحياة حيث قال :"خيركم من تعلم القرآن وعلمه" رواه البخاري عن عثمان رضي الله عنه.

وقد أبدع النبي في وصف كلام ربه فكان مما قال في وصفه :"هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه" رواه الترميذي والدرامي عن علي رضي الله عنه.

وهذا هو الحق بعينه، فإن عجائب القرآن لا تنقضي وإن وجوه جماله لا تنتهي، وإنه للعلماء كالماء الزلال للظامئ في الصحراء، فهو بحر العلم والفكر والجود والجمال و الجلال والكمال و الحكمة.[3]

فالرسول كان أفصح الخلق، وأسوة العلماء و الأدباء ،فبلاغته وحي و إلهام من الله سبحانه وتعالى.

روي عن النبي أنه قال: «إنّما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه».

حتى أن "النابغة الجعدي" أنشد بين يدي الرسول قصيدة يقول فيها:

علـونـا السمـاء عفـة وتكـرمًـا.....وإنـا لنبغـي فـوق ذلـك مظهــرًا

فغضب النبي وقال: أين المظهر يا أبا ليلى"؟، قال: الجنة بك يا رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ أجل إنشاء الله، فقضت له دعوة النبي بالجنة وسبب ذلك شعره.

---

[1]– الموجز في تاريخ البلاغة: مازن المبارك، ص 32.

[2]– البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل: محمد بركات حمدي أبو علي، دار البشير، ط 1، عمان، 1992، ص 17.

[3]– مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم: محمد رفعت أحمد زنجير، طبع على نفقة عبد الله احمد الموسى، ط 1، الكويت، 1428 هـ، 2007 م، ص ص، 12–13.

وأنشد "حسان بن ثابت" حين جاوب أبا سفيان بن الحارث"

هجوت محمدًا فأجبت عنه ..... وعند الله في ذاك الجزاء

فقال له جزاؤك عند الله الجنة يا "حسان" فلما قال:

فإن أبي ووالده وعرضي ..... لعرض محمد منكم وقاء

قال له: وقاك الله حرَّ النار، فقضى له بالجنة مرتين في ساعة واحدة،[1] وكان ذلك بسبب شعره.

كما اشتهر علي رضي الله عنه بالفصاحة والبيان، كما كانت له مساهمة في النقد، إذ يتضح من ذلك أيضا أن للخلفاء معرفة بالشعر ونقده.[2]

والعرب عرفوا البلاغة في القرآن الكريم معرفة الفطرة والسليقة لا معرفة العلم والاكتساب، يسمعه أحدهم للمرة الأولى فإذا هو يترك دين الآباء، فما أكثر الذين سمعوا آية أو آيتين يتلوها الرسول فإذا هم بعد ذلك مسلمون، على غرار المكابرين من العرب الذين يعترضون عن القرآن حتى لا يغلبهم ، ويتواصلوا بالبعد عنه وفي ذلك إقرار منهم بسلطان.[3]

نستخلص من هذا الكلام أن البلاغة العربية في هذا العصر تطورت بفضل القرآن الكريم.

- **فـــي عصـر بنـــي أميـــة:**

ازدهرت الخطابة في هذا العصر ازدهارا كبيرا بفضل:

نشوء الأحزاب في العصر الأموي من تأييد للأمويين، ومن خوارج ، وغير ذلك من الطوائف التي كانت وراء الشعر والنثر في هذا العصر، التي كانت فيه السليقة سليمة والعربية في بيان ساطع.[4]

كانت الخطابة الطابع الغالب في كل لون من ألوانها، ومن أشهر ولاة بني أمية في السياسة كل من "زيّاد" و"الحجّاج".

---

[1]– العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، ج 1، ط 5، 1981، ص 6.

[2]– المرجع نفسه، ص، 23

[3]– الموجز في تاريخ البلاغة، مازن المبارك، ص 33.

[4]– البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، محمد بركات حمدي أبو علي، ص 18.

في زياد يقول الشعبي «ما سمعت متكلما على منبر قطّ تكلم فأحسن إلا أحببت أن يسكت خوفا من أن يسيء إلا زيادا فإنه كلما أكثر كان أجود كلاما»، وفي الحجاج يقول مالك ابن دينار: «ربما سمعت الحجاج يخطب، يذكر ما صنع به أهل العراق وما صنع بهم، فيقع في نفسي أنهم يظلمونه وأنه صادق، لبيانه وحسن تخلصه بالحجج».[1]

- بلغ خطباء الوعظ الغاية في روعة البيان وفي مقدمتهم "غيلان الدمشقي" و "الحسن البصري" و"واصل بن عطاء" ويقول الجاحظ إن أدباء العصر العباسي كانوا يتحفظون كلام الحسن وغيلان حتى ما بلغوا ما يريدون من المهارة البيانية، ويشيد ببلاغة "واصل" مدللا عليها بإسقاطه الراء للُثْغَته فيها، مع ما انتظم له من الطلاوة والجزالة، وقد ظهرت جملة من الطوائف السياسية كثر جِدَالُها في أمور السياسة والعقيدة جراء بواعث كثيرة فكان منهم: الخوارج، والشيعة، والأمويون والمرجئة والجبرية، والقدرية، والمعتزلة، ونما العقل العربي نموا واسعا خاصة في بلاغة الكلام، مبينين ذلك في مجالس الأدب التي كان يحضرها الحلفاء والولاة.[2]

وقد تنافس الشعراء فيما بينهم، إذ ظهرت حركة النقد في العديد من المجالس مثال ذلك: يقال: أن ذا الرّمة كان ينشد بسوق "الكُناسة" في الكوفة إحدى قصائده، فلما انتهى منها إلى قوله:

إذا غيَّر النـأيُ المُحبِّيـن لـــم يكَـد ..... رَسيـسُ الهـوى مِـــن حبِّ ميَّـــة يَبـــرَحُ

فصاح به ابن شَبْرمة أراه قد برح، وكأنه لم يعجبه التعبير بقوله(لم يكد)، فكفَّ ذو الرمة ناقته بزمامها وجعل يتأخر بها ويفكر ثم عاد فأنشد:[3]

إذا غيَّر النـأيُ المُحبِّيـن لـــم أَجِـدْ ..... رَسيـسُ الهـوى مِـــن حبِّ ميَّـــة يَبـــرَحُ

وهناك الكثير من الأمثلة التي تشهد ازدهار الأدب في هذا العصر كما أنه عصر مليء بالعديد من الشؤون السياسية ونمو الكلام في مجال الخطابة والشعر.

[1]- ينظر: البلاغة تطور وتاريخ: شوقي ضيف، ص 14.

[2]- المرجع نفسه، ص 15.

[3]- البلاغة تطور وتاريخ: شوقي ضيف، ص 17.

المطلب الثاني: مـــرحلـــة النمـــو

- **العصـــر العبـــاســـــي:**

اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في العصر العباسي ودخل الناس في دين الله أفواجا، واختلطت الأجناس العربية بغيرها من الفرس، واحتكت بأجناس من الهند وغيرهم من الوافدين على الدولة الإسلامية من تجار ودارسين، وبرزت بجانب الدين الإسلامي ديانات قديمة،[1] فقد مزجت الحضارة العباسية البلاغة بألوان مختلفة من الأدب والفكر وصبغت بأصباغ الثقافات كما انتبه البلاغيون إلى البلاغة القديمة فتارة قصدوا وتارة فرطوا.

فقد زخر هذا العصر بالأحداث التاريخية والتقلبات السياسية والتطورات الاجتماعية التي نقلت العرب من حال إلى حال وقد كان لكل هذا فضل على نضج العقول بالثقافة واتساع المدارك،[2] **لذا سمي بعصر الازدهار.**

والجدير بالذكر أن العلماء في هذه المرحلة عكفوا على دراسة القرآن وعنوا به عناية كبيرة وقد اتجهوا إلى الاستقصاء والإحاطة ومن ثمة جاءت مؤلفاتهم أشبه بدوائر المعارف فسمي بعصر الموسوعات.[3]

ازدهر العصر العباسي ازدهارًا كبيرا لتعطيه طابعا علميا حافلا بالأحداث التاريخية والتطورات الاجتماعية وتعدد العلوم في هذا العصر.

المطلب الثالث: مرحلـــة الازدهـــار والتطـــور "النضـــج والاكتمـــال"

لقد اجتهد العديد من العلماء في ضبط تعاريف وقواعد علم البلاغة في مؤلفات لكن لم يكن فيها شيء من التدقيق وبلوغ المراد من البلاغة إلى أن بلغ التأليف غاية من النضج والأحكام في القرن الخامس للهجرة على يد الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبدالرحمان بن محمد الجرجاني "(ت 471 هـ) صاحب كتابي "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" الذي برع

---

[1]– البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل: محمد بركات حمدي أبو علي، ص 19.

[2]– بلاغة الكتب في العصر العباسي: محمد نبيه حجاب، مكتبة الطالب الجامعي، ط 2، 1986، ص 75

[3]– بلاغة الكتب في العصر العباسي: محمد نبيه حجاب، ص 79.

في علوم اللغة وألّف في النحو والإعجاز والبلاغة كتبا تشهد له بالفكر الناقد والعلم الواسع وسداد الرأي في النحو والبلاغة.[1]

أي أن الفضل الكبير في نضج وإحكام التأليف يعود إلى الإمام "عبدالقادر الجرجاني" الذي عرف بشساعة فكره وقدرته العلمية الفائقة.

الذي جمع متفرقات هذا العلم في كتابيه وأقامها على أساس متين وركز دعائمها مع التحقيق العلمي البديع، وأحكم بناءها بضرب الأمثلة والشواهد وقرن فيهما بين وضع القواعد الفنية وصوغها بالأساليب الأدبية جمع بين العلم والعمل فهو جد عليم بأن مسائل الفنون إن لم تؤيد بأمثلة وشواهد لا تتضح حق الوضوح ولا تتمثل في الأذهان فقد نهض بهذا العلم نهضة جديدة.

أسس عبد القاهر الجرجاني مبادئ علم البلاغة ووضع أصولها وأسس قواعدها لأنه استطاع أن يستنبط من ملاحظات البلاغيين قبله كل القواعد،[2] إلا أن خلص عبد القاهر إلى نظرية النظم والذي ينبه الجرجاني فيها المقصود من النظم ليس اتصال الألفاظ أو ترابطها وتتاليها من حيث هي حروف منظومة وكلام منظوم فهو من هذا لا يريد بالنظم نظم الحروف لأن هذا لا يعني توليدها وإنما يقصد منها تناسق دلالاتها وتلاقي معانيها على الوجه الذي يقتضيه العقل.[3]

أي أن النظم ليس نظم الحروف وإنما هو تتالي المعاني واتساقها.

وإليه يعود الفضل في مباحث علم المعاني والبيان وهو من وضع أسس لهذين العلمين وأصبح لكتابيه مكانة مرموقة جعلت كل من بعده يعتمد عليه ويقيس من مسائله لما استحوذا عليه من علم وصياغة ووضع دقيق ثم تلا "عبد القاهر الجرجاني" "محمود بن عمر الزمخشري" الذي سار على نهج الشيخ الجرجاني الذي ألف تفسيرا أسماه "الكشاف" وفيه نجد دراسة تطبيقية للأساليب البلاغية من استعارة ومجازة وتشبيه وكناية، وقد ألّف "الزمخشري"

[1] – تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها: أحمد مصطفى المراغي، مكتبة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، ط 1، 1950، ص ص، 20–21.

[2] – الموجز في تاريخ البلاغة: مازن المبارك، ص 91.

[3] – المرجع نفسه: ص 91.

كتابا آخر أسماه "أساس البلاغة" الذي يبين في كل مادة من مواده الاستعمالات الحقيقية لمواد العربية.[1] ثم يبين تطورها الدلالي بطريق المجاز[2].

فمن هذا الكلام نلاحظ أن "الزمخشري" اتبع طريق "الجرجاني" ولم يختلف في تفكيره عنه، إذ قام بالدراسة التطبيقية التي بدأها "الجرجاني".

المطلب الرابع: مـرحلـــة الجمـود والتعقيـد

تبدأ هذه المرحلة في أواخر القرن السادس الهجري وقد نبغ في هذا القرن "أبو يعقوب يوسف السكاكي" ألف كتاب "مفتاح العلوم" وجمع في القسم الثالث منه خلاصة ما كتبه العلماء قبله في هذه الفنون وتحدث في الكتاب عن علم الصرف وعلم النحو وعلوم البلاغة الثلاثة (المعاني والبيان والبديع) وعلم الاستدلال المنطق، وعلم العروض والقافية وعلم الرغم من تأثره بالدرس الفلسفي وولعه به، إلا أنه استطاع أن يحدد الأنواع البلاغية.[3]

امتزج الدرس البلاغي عند السكاكي بالمنطق والفلسفة فاستقام في نظام بين الحدود وواضعها أصبحت علوم البلاغة جامدة تعتمد على الحدود والتعريفات تبتعد عن الحس البلاغي والذوق وأصبحت علما خاليا من الجمال.

في الأخير نوضح ما كانت عليه البلاغة وما أصبحت عليه فقد مرت بمراحل بدأت بعصورها الزاهية خاصة في عصر عبد القاهر الجرجاني فقد ازدهرت واكتملت في أولها وذبلت وجفت على أيدي علماء البلاغة المتأخرين.

[1] – مدخل إلى البلاغة العربية: (علم المعاني– علم البيان–علم البديع)، يوسف أبو العدوس، دار المسيرة، ط 1، 2007 م، 1427 هـ، ص 16.

[2] – المرجع نفسه، ص 16.

[3] – مدخل إلى البلاغة العربية: (علم المعاني– علم البيان–علم البديع)، يوسف أبو العدوس، ص 16.

المبحث الثاني: فـــي البـــلاغـــة العـربيـــة

المطلب الأول: عـــوامـــل نشـــأة البـــلاغـــة العـربيـــة

البلاغة من العلوم العربية التي لم تنضج ولم تحترق فنشأت لتصون التراث وتضع المعالم في الطريق ومن العوامل التي ساهمت في نشأتها نذكر منها:

❖ إن العرب نشأوا على تذوق الأسلوب ونقده، والفطنة بجيده ورديئة، ونشأ عن ذلك ظهور آراء نقدية كانت هي الأساس الأول للنقد الأدبي عند العرب، وكان هذا النقد هو أساس علم البلاغة العربية.

❖ إن العرب أمة مفطورة على البلاغة، فقد رفع القرآن الكريم منزلة البلاغة فوق منزلتها، فالتفت العلماء منذ أواخر القرن الهجري الأول إلى تبين مزية القرآن الكريم، والبحث عن مصدر الجمال والروعة في آياته، والبحث فيّ أسرار إعجازه.

❖ كما أن للمعتزلة دورا كبيرا وهاما في نشأة علوم البلاغة العربية فقد عني أصحاب المعتزلة بمسائل البيان والبلاغة لاتصالها بما كانوا ينهضون به من الخطابة والمناظرة... واهتم المعتزلة بما عند الأمم الأخرى من آراء في البلاغة ومسائلها المتنوعة، وقد نقل الجاحظ ما أثاره أقطاب المعتزلة في كتبه المتعددة، كما كان لهم اهتمام كبير بمقاييس البلاغة والنقد لعاملين هما:

1. أن البلاغة عنصر هام في الاقتناع.
2. إيمان المعتزلة بأن الشعر العربي مصدر من مصادر المعرفة الكبرى ووعاء لها.

❖ بعد اتساع الفتوحات الإسلامية، وامتزاج العرب بالشعوب الأخرى فسدت الأذواق وانحرفت الملكات، وظهور اثر هذا الامتزاج في الألسنة والطباع، كان من البواعث على تدوين أصول البلاغة العربية لتكون ميزانًا سليمًا توزن به بلاغة الكلام.[1]

[1] مدخل إلى البلاغة العربية: (علم المعاني، علم البيان، علم البديع)، يوسف أبو العدوس، ص ص 13، 14

المطلب الثاني: مفهـــوم البـــلاغـــة العـربيـــة

1-تعـــريـــف البـــلاغـــة:

لغـــة: لقد تعددت التعاريف اللغوية لمادة بَلَغَ (ب.ل.غ) حيث نجدها في المعاجم اللغوية، فعند ابن منظور (ت 711 هـ) في كتابه لسان العرب: بلغ: بَلَغَ الشيء يبلغُ بُلُوغًا وبَلاغًا: وصل وانتهى، ويقال: بُلِغَ فلان أي: جُهِدَ، وأمر بَالِغٌ: جيدٌ والبلاغةُ: الفصاحةُ، ورجل بليغٌ وبلْغٌ: حسن الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قلبه.[1]

نستنتج من هذا التعريف أن البلاغة في اللغة هي الوصول و الانتهاء.

وقد جاء في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170 هـ): بلغ: رجلٌ بلْغٌ: بليغٌ، وقد بلغَ بلاغةً، وبلغَ الشيء يَبْلُغُ بُلُوغًا، وأبلغْتُهُ إبلاغًا، وبَلَّغْتُهُ تبليغا في الرِّسالة ونحوها، وفي كذا بَلاغٌ وتبليغٌ، أي جيدٌ، والمبالغَةُ: أن تبلغَ من العمل جُهدكَ.

قال الضرير: سمعتُ أبا عمرو يقول: البلْغُ ما يبْلُغُكَ من الخبر الذي لا يُعْجِبُكَ، القول: اللَّهُمَّ سَمْعٌ لا بَلْغُ، أي اللَّهُمَّ نسْمَعُ بِمثلِ هذا فلا تُنْزِلُهُ بنا.[2]

ومن هنا نجد أنّ هذا التعريف يشير إلى أنّ البلاغة هي بلوغ الشيء والانتهاء إليه.

وقد جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت 395 هـ) بلغ: الباء واللام والغين أصل واحد وهو الوصول إلى الشيء: تقول بلغْتُ المكان، إذا وصَلْتَ إليه وقد تسَمَّى المشارَفَةُ بُلُوغًا بحقِّ المقارَبة، قال الله تعالى﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾،[3] ، ومن هذا الباب قولهم هو أَحْمَقُ بِلْغٌ، أي أنه من حماقته يبلغ ما يريده، والبُلْغَةُ ما يُتَبَلَّغُ به من عيش، كأنه يراد أنه يَبْلُغُ رتبة المُكثِرِ إذا رضي وقنعَ، وكذلك البلاغة التي يمدح بها الفصيح اللسان، لأنه يبلُغُ بها ما يريده ولي في هذا بلاغٌ أي كفاية، وقولهم بلَّغ الفارسُ يراد به أنه يمدّ يده

---

[1] – لسان العرب، ابن منظور، تح، عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، د.ت، مادة (ب. ل. غ)، ص 143.

[2] – العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2003 م، 1424 هـ، ج 1، ص 161.

[3] – سورة الطلاق: الآية 02.

بعنانِ فرسهِ ليزيد في عدوهِ، وقولهم تبلَّغَتِ القلة بفلان، إذا اشتدَّت، فلأنه تناهيها به وبلوغها الغاية.[1]

نجد ابن فارس يعرف كذلك البلاغة بأنها الانتهاء و بلوغ الغاية.

وجاء في معجم أساس البلاغة للزمخشري (ت 538 هـ) بلغ: أَبْلِغْهُ سلامي وبلَّغْه، وبلَّغْتُ ببلاغِ اللهِ بتَبْلِيغِهِ، قال الكميتُ: [من الطويل]

فهـل تُبْلِغَنِّيهِم علـى نـأْي دارِهـمْ ..... نعَـمْ بِبَـلاغِ الله وَجْنـاء ذِعْلِـبُ

وبلغَ في العلم المبالغَ، وبلغَ الصبيُّ وبلغَ اللهُ به فهو مبلوغ به، وبلَغَ مني ما قلتَ، وبلغَ منه البُلَغِيتَ والبِلَغِينَ، وأَبْلَغْتُ إلى فلان: فعلتُ به ما بلغَ به الأذى والمكروهَ البليغَ، واللهم (إذا) سَمْعًا لا بَلْغًا، وتَبَالَغَ فيه المرضُ والهَمُّ إذا تناهى، وتبلَّغَ بالقليل: اكتفى به، وما هي إلا بُلْغَةٌ أتبَلَّغُ بها وَتَبَلَّغَتْ به العلَّ: اشتدَّت، وبلُغَ الرجل بلاغَةً فهو بليغٌ وهذا قولٌ بليغ، وتبالغَ في كلامه: تعاطى البَلاغَة وليس من أهلِها وما هو ببليغ ولكن يتَبَالَغُ.[2]

فالبلاغة هنا لا تخرج عن معنى البلوغ والانتهاء والاكتفاء بالشيء مثله في ذلك مثل سابقيه في تعريف البلاغة.

أما المعنى الشائع والمستقر بين متكلمي اللغة العربية المعاصرة فهو صيغة الكلام الأصلية التي وردت في المعاجم الحديثة مثل المعجم الوسيط والمنجد: فالأول: «بَلَغَ الشَّجَرُ – بلُوغًا، وبلاغا: حان إدراك ثمره، والغُلامُ: أدرك والأَمْرُ: وصل إلى غايته، ومنه: «حكمةٌ بالغَةٌ» والشيءَ بلوغًا: وصل إليه (بَلُغَ) بلاَغَةً: فَصُحَ وحَسُنَ بيانه فهو بَلِيغٌ (ج) بُلَغَاء، ويقال: بلُغَ الكلامُ أَبْلَغَه الشيء وإليه، أوصله إليه (بَالَغَ) فيه مبالغة وبلاغا اجتهد فيه

[1]– مقاييس اللغة، بن فارس بن زكريا الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1999 م، ج 1، ص 156.

[2]– أساس البلاغة، الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط 1،1914 هـ، 1998 م، ص 75.

واستقصى، وغالى في الشيء، بلَّغ الشيبُ في رأسه: ظهر (البَلاَغَةُ)حسن البيان وقوة التأثير وعند علماء البلاغة: مطابقة الكلام بمقتضى الحال مع فصاحته.[1]

والثاني بلغ: بَلَغَ – بُلوغًا الثمرُ: نضَج، والغلام: أدرك، البالغُ: المدركُ يقال "غلام بالغ" و"جارية بالغ وبالغة".

بُلِغَ الرَّجلُ: بَلَغَ جُهد، غُمَّ، بَلَغَت، بُلُوغًا العلَّةُ: اشتدَّت ويقال "بلغَ مني كلامُك" أي أَثَّر فيَّ تأثيرا شديدًا، بَالَغَ في الأمر: اجتهد فيه ولم يقصِّر.

بَلُغَ: بَلاغَةً: صار أو كان فصيحا فهو بليغ ج بُلغاء، تَبَالَغَ الرجُلُ في كلامه: تعاطى البلاغة وما هو ببليغ.

تبلَّغَ بالشَّيء: اكتفى وقنع به، البَلاَغ. ج بَلاَغات: الكفاية ومنه الحديث.[2]

تجمع التعاريف اللغوية المذكورة على أن البلاغة هي بلوغ الشيء والانتهاء إليه والوصول إليه.

2-تعـريـف البـلاغـة:

اصطـلاحـا:

للبلاغة عدة تعريفات اصطلاحية نذكر منها:

تعرف البلاغة عموما بأنها: فن يعتمد على صفاء الاستعداد الفطري ودقة إدراك الجمال وتبيين الفروق الخفية بين صنوف الأساليب وللمرانة يد لا تجحد في تكوين الذوق الفني.

ولا بد من قراءة طرائف الأدب، ونقد الآثار الأدبية والموازنة بينهما، وأن يكون له من الثقة بنفسه ما يدفعه إلى الحكم بحسن ما يراه وقبح ما يراه قبيحا.[3]

---

[1]– المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، المكتبة الإسلامية، اسطنبول، تركيا، ج 1، (د ت)، ص ص 69– 70.

[2]– المنجد في اللغة، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، 1986، ص ص 48، 49.

[3]– علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة، عمر عبد الهادي عتيق، دار أسامة، الأردن، ط 1، 2012، ص 20.

نستنتج من هذا التعريف أنّ البلاغة فن يعتمد على إدراك الجمال فالاطلاع على طرائف الأدب، ونقد الآثار الأدبية والموازنة ومواصلة التدريب على ذلك يدفع إلى الحكم على الجيد من الرديء والعكس.

وتعرف البلاغة أيضا بأنها: تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة لها في النفس أثر خلاب مع ملائمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه والأشخاص الذين يخاطبون.[1]

أي إيصال معنى واضحا موجز بشرط أن يكون مقنعا ومؤثرا مع مراعاة لكل مقام مقال.

كما ورد في قول الشاعر:

تحنـن علـي هـداك المليـك ..... فـإن لكـــل مقـــام مقـــــال

إذن فالمفهوم الاصطلاحي للبلاغة يكمن في أن البلاغة هي كون الكلام الفصيح الذي يوصل المتكلم إلى مبتغاه.

وتكون البلاغة وصفا للكلام والمتكلم ولا توصف بها الكلمة.

- **بـلاغـة الكـلام:** مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع سلامته من العيوب المخلة بفصاحته وفصاحة أجزائه.

الحال: هو الأمر الداعي للمتكلم إلى أن يعتبر في كلامه شيئا خاصا زائد على أصول المعنى.

مقتضـى الحـال: هو ذلك الأمر الذي يعتبر في كلامه لاقتضاء الحال إياه.

أمـا مطـابقـة الكـلام لمقتضـى الحـال: فهي اشتماله على ذلك الشيء الزائد.

- **بـلاغـة المتكلـم:** هي ملكة راسخة في نفس صاحبها يتمكن بها من تأليف كلام بليغ في أي معنى يؤيد صاحبه هذه الملكة بليغ وإن لم ينطق أي بليغ بالقوة، فإذا نطق أو كتب كان بليغا بالفعل لم يسم بليغا إلا إذا كانت لديه القدرة على صوغ الكلام البليغ،[2]

أي أن البليغ لا ينعت بالبليغ إلا إذا كانت لديه القدرة على صوغ الكلام وتأليفه.

[1]– البلاغة الواضحة: علي الجازم، مصطفى أمين، مكتبة البشرى، باكستان، ط 1، 2010، ص 8.

[2]– البلاغة الاصطلاحية: عبده عبد العزيز قليقلة، دار الفكر العربي، ط 4، القاهرة، د ت، ص 30.

المطلب الثالث: البـلاغـــة اصطـلاحـا بيـن القـدامـى والمحدثيـن:

تعددت تعاريف البلاغة، واختلفت من عصر لآخر، ومن باحث لآخر.

1-البـلاغـة عـنـد القـدمـــاء:

لقد عرفها الرماني بقوله: "إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"،[1]

وعرفها القزويني (ت 739 هـ) بأنها: "مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"،[2]وعرفها أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) بقوله: "البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع، فتمكنه في نفسه، كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن".[3]

أجمع العلماء الثلاثة على أنّ البلاغة إيصال المعنى في أحسن صورة من الألفاظ إلى قلب السامع.

وعرفها الجرجاني (ت 471 هـ) بقوله: "البيان هو تأدية المعاني التي تقوم بالنفس تامة على وجه يكون أقرب إلى القبول وأدعى إلى التأثير وفي صورتها وأجراس كَلِمِهَا بعذوبة النطق وسهولة اللفظ والإلقاء والخفة على السمع"،[4] وعرفها الآمدي (ت 370 هـ) بأنها: "إصابة المعنى وإدراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة مستعملة سليمة من التكلف، لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة، وذلك كما قال البحتري:

والشعر لمح تكفـي إشـارتـــه ..... وليـس بـالهـذر طـولـت خطبـــه".[5]

نستنتج من التعريفين السابقين أن البلاغة هي تأدية المعنى بأسلوب عذب سليم خال من التكلف.

---

[1] – تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية: مهدي صالح السامرائي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط 1، 1977، ص 291.

[2] – المرجع نفسه، ص 292.

[3] – علم البيان، بدوي طبانة، ط 2، 1967، ص 07.

[4] – أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، دار المعرفة، بيروت ، 1398 هـ، 1978 م، ص 9.

[5] – علم البيان، بدوي طبانة، ص 07.

أما ابن المقفع فعرفها بقوله: "البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت: (ربَّ جواب بالسكوت بليغ) ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سَمعًا وخُطبًا ومنها ما يكون رسائل.

فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي ولإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة".[1]

نستخلص من هذا التعريف أن البلاغة جعلها ابن المقفع أقساما في الصمت والاستماع والإشارة والكلام والبلاغة عنده الإيجاز.

أما السكاكي (ت 626 هـ) فقد عرفها بقوله "هو بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها،[2]

يقصد السكاكي من ذلك أن البلاغة هي إيصال معنى الكلام كامل التراكيب مراعيا فيه أنواع التشبيه والمجاز والكناية.

وعرفها ابن الأثير (ت 637 هـ) مع تعريفه للفصاحة ليبين حد كل منهما بقوله: "أن الكلام الفصيح هو الكلام الظاهر البين وأعني بالظاهر البين أن تكون ألفاظه مفهومة بحيث لا يحتاج أحدا في فهمها إلى كتابة لغة، فبينما البلاغة شاملة الألفاظ والمعاني، وهي أخص من الفصاحة كالإنسان من الحيوان، فكل إنسان حيوان، وليس كل حيوان إنسان، والبلاغة لا تكون إلا في اللفظ والمعنى معا بشرط التركيب، لأن اللفظة الواحدة لا يطلق عليها اسم البلاغة بينما يطلق عليها اسم الفصاحة، إذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة وهو الحسن، وأما وصف البلاغة لا يوجد في اللفظة الواحدة لخلوها من المعني الذي ينتظم كلاما، ويضرب ابن الأثير مثلا على ما يقول، قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾،[3] فإن كل كلمة من هذه الآية الكريمة بمفردها

[1] – البلاغة تطور وتاريخ: شوقي ضيف، ط 12، 1965، ص 20.

[2] – مفتاح العلوم: السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1403 م، ص 415.

[3] – سورة الأعراف: الآية 54

صحيحة، لأنها معلومة المعنى، بينما البلاغة هي في اجتماع هذه المعاني الفصيحة بصورتها البلاغية.[1]

ومن خلال ما تقدم من التعاريف نلاحظ أنها جميعا تقوم على أساسي اللفظ والمعنى، فأغلب التعاريف تؤكد أن البلاغة هي إيصال المعنى المراد إلى قلب السامع، مع التعبير عنه بأسلوب جميل باستثناء تعريفي القزويني وابن المقفع، حيث رأى القزويني أن البلاغة هي مناسبة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، ورأى ابن المقفع أن البلاغة هي الإيجاز.

2- البـــلاغـــة عـــنـــد المحـــدثيـــــن:

ومن البلاغيين المحدثين الذين عرفوا البلاغة، "أحمد الشايب" فقد عرفها متأثرا بتعريف البلاغي الغربي (Ginng جينغ) بقوله: "إن البلاغة فن تطبيق الكلام المناسب للموضوع أو للحاجة على حاجة القارئ أو السامع"،[2] أما أمين الخولي فيقول معرفا البلاغة: "هي البحث عن فنية القول وإذا ما كان الفن هو التعبير عن الإحساس بالجمال فالأدب هو القول المعبر عن الإحساس بالجمال، والبلاغة هي البحث في كيف يعبر القول عن هذا الإحساس"،[3] وقال "علي الجمبلاطي" في تعريفها: "أما اليوم فيقولون أنها العلم أو الفن الذي يعلمنا كيف ننشئ الكلام الجميل المؤثر في النفوس، أو يعلمنا كيف ننشئ القول الأجمل، إذ البلاغة بهذا التعريف هي التي تتكفل بتقديم القوانين العامة، التي تسيطر على الاتصال اللغوي، وهي التي توضح الطرق والأساليب التي يستطيع بها الأديب أن ينقل عن طريق الكلمات والجمل أفكاره وآراءه إلى القارئ على أحسن وجه ممكن، والبلاغة هي التي تقدم لنا جملة من القواعد التي ينبغي أن تراعى في نظم الكلام، الذي يأخذ بالنفوس والتي تسهل عملية الاتصال اللغوي في صور من التعبير الفصيح".[4]

ومن خلال ما تقدم من تعاريف المحدثين، نلاحظ أن هذه التعاريف تقوم على أساس اعتبار البلاغة فنا يقوم على استخدام الكلام الجميل والمؤثر والملائم للمعنى، إنهم يعتبرون

---

[1]- الجامع لفنون اللغة العربية والعروض: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط 1، 1407 هـ، 1987 م، ص 23، 24.

[2]- اللغة والبلاغة: عدنان ذريل، مؤسسة الكتب الثقافية، ط 1، 1983، ص 15.

[3]- المرجع نفسه، ص 19.

[4]- ينظر: الأصول الحديثة لتدريس اللغة العربية- والتربية الإسلامية- علي الجمبلاطي، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، ط 2، د ت، ص 290.

البلاغة علما ينظم ويحدد القوانين التي ينبغي أن تحكم الأدب، وهم بتعاريفهم هذه يختلفون عن القدامى في اعتبار البلاغة علما تارة وفنا تارة أخرى ولكنهم يتفقون معهم في أنها استخدام الكلام الجميل المؤثر في النفس والمناسب للموضوع.

المبحث الثالث: الإعجـــاز البلاغـي القـرآنـــي:

المطلب الأول: تعـريـف القـران الكريـم والإعجـاز والمعجـزة.

2. تـعـريـف القـرآن الكـريـم:

أ. **لـــغـــة:** يعرف العلماء القرآن لغويا على أقوال:

"فالمروي عن الشافعي وبه قال جماعة: أنه اسم علم غير مشتق خاص بهذا الكلام المنزل على النبي المرسل وهو معرف غير مهموز عنده كما حكاه عند "البيهيقي" و"الخطيب".

نستنتج من هذا القول أن المعنى اللغوي للقرآن هو اسم علم غير مشتق معرف غير مهموز المنزل على النبي.

وقال الفراء: هو مشتق من القرائن لأن الآيات فيه يصدق بعضها بعضا، و يشبه بعضها بعضا وهو على هذين القولين بلا همز أيضا ونونه أصلية.[1]

اختلف الفراء في تعريفه للقرآن عن الشافعي فهو يقول: بأنه مشتق بلا همز ونونه أصلية.

وقال الليحاني:"لفظ قرآن" هو في اللغة مصدر مرادف للقراءة ومنه قوله تعالى:﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18)﴾.[2]

ثم نقل من هذا المعنى المصدري، وجعل اسما للكلام المعجز المنزل من باب إطلاق المصدر على مفعوله. وهو المختار استنادا إلى موارد اللغة، وقوانين الاشتقاق، وإليه ذهب الليحاني.[3]

---

[1]– قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية: عبد العزيز عبد المعطي عرفة، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1405 هـ، 1985 م، ص 22.

[2] – سورة القيامة: الآية 17–18.

[3]– قاضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية: عبد العزيز عبد المعطي عرفة، ص 25.

وجاء في لسان العرب: "وفيه قول آخر لم تقرأ جنينا أي لم تقله، ومعنى قرأت القرآن: لفظت به مجموعاً أي ألقيته".[1]

نرى الإمام السيوطي في "الإتقان" يختار رأي الإمام الشافعي، يأتي الألوسي[2] و يرده قائلا: إن هذا الرأي من السيوطي محض تقليد لإمام مذهبه حيث لم يذكر الدليل، ولم يوضح السبيل، ويرى: أنه في الأصل وصف أو مصدر كما الليحاني، لكنه نُقل وجُعل علما شخصيا كما ذهب إليه الشافعي.[3]

وفي مجمل هذه الأقوال نرى أن لفظ القرآن مشتق من القرائن والمعرف المنزل على سيدنا محمد ﷺ.

ب. **اصطـلاحـــا:** يعرف العلماء القرآن الكريم: "بأنه كلام الله العربي الموحى المنزل على رسول الله المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته، المعجز المتحدي به وبأقصر سورة منه".[4]

وتعريف القرآن على هذا الوجه متفق عليه بين الأصوليين والفقهاء وعلماء العربية ويشاركهم فيه المتكلمون أيضا.

- **الكـــلام:** جنس شامل لكل كلام، وإضافته إلى (الله) تميزه عن كلام من سواه من الإنس والجن والملائكة.
- **المنـــزل:** مخرج للكلام الإلهي الذي استأثرا لله به في نفسه، أو ألقاه إلى ملائكته، ليعلموا به لا لينزلوه على أحد من البشر، إذ ليس كل كلامه تعالى منزلا، بل الذي أنزل منه قليل من كثير، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾.[5]

---

[1]- المرجع نفسه، ص 23.

[2]- الالوسي: هو أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي المتوفي 1270 هـ.

[3]- قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية: عبد العزيز عبد المعطي عرفة، ص 24.

[4]- هدى فرقان في علوم القران: غازي عناية، دار شهاب، باتنة، الجزائر، د ط، 1408 هـ، 1988 م، ج 1، ص 22.

[5]- سورة الكهف: الآية 109.

وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (27)﴾.[1]

ويقيد المنزل بكونه (على محمد) لإخراج ما أنزل على الأنبياء من قبله، كالتوراة المنزلة على موسى، والإنجيل المنزل على عيسى، والزبور المنزل على داوود، والصحف المنزلة على إبراهيم عليهم السلام.

- **المنـقول بـالتـواتـر:**

جميع ما سوى القرآن من منسوخ التلاوة والقراءات غير المتواترة سوى كانت مشهورة نحو قراءة ابن مسعود (متتابعات) عقب قوله تعالى:﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾.[2]

أم كانت أحادية كقراءة ابن مسعود أيضا لفظ (متتابعات) عقب قوله سبحانه: (فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ)[3]، فإن شيئا من ذلك لا يسمى قرآنا ولا يأخذ حكمه.

- **المتعبـد بتـلاوتـــه:**

أي المأمور بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة، لإخراج ما لم نؤمر بتلاوته من ذلك، كالقراءات المنقولة إليها بطريق الآحاد، والأحاديث القدسية وهي المسندة إلى الله عز وجل إن قلنا: إنها منزلة من عند الله بألفاظها.[4]

فالقرآن الكريم أعظم كلام عربي ومنهل معرفة القدامى والمحدثين فجعلوه على رأس مصادر جمع اللغة ورواياتها وذلك للأسباب التي يذكرها الدكتور "الشلقاني" بقوله: "وهم في مجال هذا التوثيق وضعوا القرآن الكريم في الذروة من مصادرهم على أنه أرفع صورة الكلام العربي، وإذا كان الاستشهاد بالسماع قد انتهى بنهاية القرن الثاني أو هكذا اتفق أكثرهم فإن القرآن الكريم سيظل إلى ما لا نهاية يسمع و يستشهد به على أنه سيد الشواهد و بذلك

---

[1]- سورة لقمان: الآية 27.

[2]- سورة المائدة: الآية 89.

[3]- سورة البقرة: الآية 180.

[4]- قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية: عبد العزيز عبد المعطي عرفة، ص ص، 26-27.

شاعت العبارة (القرآن قاموس من لا قاموس له) بل إنه الأثر الأدبي الوحيد الذي بقيت روايته إلى الآن محاطا بالعناية التي تتمثلها فيما تمنحه مشيخة القراء من إجازة قراءته".[1]

فما من عالم في اللغة إلا وشهد للقرآن بالمكانة السامقة فهذا الدكتور"عبد الصبور شاهين" بقوله: "ومن الحقائق المسلمة أن القرآن هو أفصح ما نطق بالعربية، وكانت فصاحته على نهج معجز لكل فصحاء العرب في عصر تألقت ملكة البيان على أكمل صورها لدى قوم لم يعرفوا من صنائع الدنيا سوى صنعة البيان، ولم يبرعوا في فنون الحياة، براعتهم في قول الشعر أو النثر".[2]

وخلاصة القول في هذا فإن القرآن الكريم كان المحور الذي دار حوله فلك علوم اللغة العربية نحوا وصرفا وبلاغة، وما شدّهم إلى ذلك هو إعجازه و تحديه لهم في فصاحتهم وبلاغتهم.

2-تعـريـــف الإعـجـاز والمعـجـــزة:

أ. الإعـجـــاز:

- **لـغـــة:** كلمة إعجاز: مصدر الفعل الماضي الرباعي. نقول: أعجز يعجز إعجازا والجذر الثلاثي للكلمة: هو عجز.

والعجز عند الإمام ابن فارس والراغب الأصفهاني هو التأخر عن الشيء فهو ضد القدرة والاستطاعة، ويطلق على كل قصور عن فعل الشيء.

والإعجاز مصدر الفعل الرباعي أعجز، وفيه معنى الفوت والسبق، ويطلق على الفائز، السابق لخصمه، الذي جعل خصمه عاجزا على إدراكه. وهذا المعنى الاصطلاحي لمصطلح الإعجاز متحقق في مصطلح "إعجاز القرآن".

[1]- مصادر اللغة: عبد الحميد شلقاني، المنشاة العامة للنشر والتوزيع والإعلام، طرابلس، ليبيا، د ط، 1982، ص 30.

[2]- دراسات لغوية: القياس في الفصحى، الدخيل في العامية: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، مصر، د ط، 1988، ص 63.

- **اصطـــلاحـــا:** أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي الذي هو دعوى الرسالة أو النبوة مع عدم المعارضة.[1]
- **إعجـــاز القـــرآن:** لفظ مركب تركيب إضافي بأنه: هو كلام الله المنظوم الذي يعجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله لشمولية إعجازه بكافة أنواعه وصلاحيته لكل زمان ومكان.[2]

نستخلص من معنى القران: هو عدم قدرة الكافرين على معارضة القران وقصورهم على عدم الإتيان بمثله، وتقرير عجزه عن ذلك.

ب. المعجـــزة:

- **لغـــة:** جاء في المعجم الوسيط عجز عن الشيء عجزا، وعجزانا ضعف ولم يقدر عليه.

والمعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد نبي تأييدا لنبوته، وما يعجز البشر أن يأتوا بمثله.

- **اصطـــلاحـــا:** قال القرطبي: المعجزة: واحدة معجزات الأنبياء الدالة على صدقهم صلوات الله عليهم، وسميت معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها.[3]

نجد انّ المعجزة من العجز ضد القدرة، كما أنها أمر خارق للعادة، عجز الإنس والجن على الإتيان بمثلها.

المطلب الثاني: البـــلاغـــة والـقـــرآن

القرآن الكريم كتاب الوجود، يعرفه من عرف نفسه، وعرف الغاية من محياه، ومن مبتدئه ومنتهاه، فمن آياته وحدها اهتزت الأجيال الجامدة اهتزازة الحياة وتخلصت بقوة وعزم من عقابيل الجاهلية الأولى، لتنشئ نهضة جديدة متميزة بحقائقها وشاراتها، وقد بحث الكثيرون عن السر وراء هذا الانقلاب السريع، وكل منهم يرتاد طريقا، أو يخط منهجا،

[1]– نظارات في الإعجاز القرآني في القران الكريم نظريا وتطبيقيا: سامي محمد هشام حريز، دار الشروق، عمان، ط 1، 2005، ص 23.

[2]– الإعجاز الاقتصادي في القران الكريم (دراسة تأصيلية تطبيقية): أسامة السيد عبد السميع، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ط 1، 2008، ص 22.

[3]– مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم: محمد رفعت احمد زنجير، طبع على نفقة عبد الله احمد الموسى، الكويت، ط 1، 1428 هـ، 2007 م، ص 19

ولكنهم جميعا يلتقون على مائدة واحدة ليقرروا نتيجة أبحاثهم، والتي تتلخص في بلوغ هذا الكتاب المقدس ذروة البلاغة مما استحق بها أن يكون معجزة البيان العربي.[1]

فالقرآن معجز بالمعنى الذي يفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه، حين ينفى الإمكان بالعجز عن الغير الممكن فهو أمر لا تبلغ منه الفطرة الإنسانية مبلغا وليس إلى ذلك مأتى ولا جهة؛ وإنما هو اثر كغيره من الآثار الإلهية.

إن القرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب، ومعجز في أثره الإنساني؛ ومعجز كذلك في حقائقه؛ هذه وجوه عامة لا تخالف الفترة الإنسانية في شيء.[2]

الإعجـاز شيئـان

فـالأول: ضعف القدر الإنسانية في محاولة المعجزة ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته.

والثـانـي: استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه؛ فكأنما العالم كله في العجز إنسان واحد ليس لهو غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت؛ فيصير من الأمر المعجز إلى ما يشبه في الرأي مقابلة أطول الناس عمرا بالدهر على مداه كله.[3]

ذكر الإمام السيوطي إن من فوائد معرفة البلاغة إدراك إعجاز القرآن، ومن ثم فإن كل آية من آيات القرآن الكريم تحمل من معاني البلاغة والفصاحة ما يعجز اللسان عن ذكره، والقلم عن كتابته، ومن ثم نجد علماء البلاغة يستشهدون بالآيات القرآنية في البلاغة بأنواعها الثلاثة من معان، وبيان، وبديع، وسوف نذكر بعض الأمثلة للدلالة على إعجاز القرآن البلاغي:

---

[1]- إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق: حفنى محمد شرف، ط 4، 1390 هـ، 1970 م: ص 255.

[2]- إعجاز القرآن والبلاغة البنيوية: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 9، 1393 هـ، 1973 م، ص 156.

[3]- إعجاز القرآن والبلاغة البنيوية: مصطفى صادق الرافعي، ص 139.

1-من الإعجاز البلاغي قوله تعالى:﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.[1] فهنا مجاز مرسل علاقته الكلية حيث أطلق الكل وأراد الجزء من الأصابع وهي الأنملة الأعلى من أعلى الإصبع.

2-ومن الإعجاز البلاغي بطريق الكتابة قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.[2] فهذه الآية كناية عن الملك.

3-ومن الإعجاز البلاغي أيضا في القرآن بطريقة المقابلة كنوع من الطباق وهي أن نذكر لفظتين أو أكثر ثم امتدادها على الترتيب الأول كقوله تعالى:﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.[3]

وقوله تعالى:﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾.[4]

4-وكذلك الأمر: فإن تعبير الحق تبارك وتعالى بقوله:﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾.[5] أبلغ من قوله: ﴿مَّن يُطِعِ اللَّهَ فَقَدْ أَطَاعَ الرَّسُولَ﴾ وذلك لأن طاعة الرسول من طاعة الله، وليس طاعة الله من طاعة الرسول فإن الرسول مبلغ عن الله عز وجل وليس العكس فكأن الطاعة في الأصل للمبلغ عنه وليس للمبلغ.[6]

---

[1]- سورة البقرة: الآية 19.

[2]- سورة طه: الآية 05.

[3]- الإعجاز الاقتصادي في القرآن الكريم: أسامة السيد السميع، ص ص، 28-29.

[4]- سورة الأنعام: الآية 125.

[5]- سورة النساء: الآية 80.

[6]- الإعجاز الاقتصادي في القرآن الكريم: أسامة السيد السميع، ص ص، 29-30.

المطلب الثالث: الصلــة بيــن البلاغــة والإعجــاز القــرآنـــي

علم إعجاز القرآن هو أحد علوم التفسير، يرتكز بشكل أساسي على علوم البلاغة، قال الرازي: بعد أن ناقش جميع الآراء في الإعجاز وفندها: "ولم بطلت هذه المذاهب، ولا بد من أمر معقول حتى يصح التحدي به، ويعجز الغير عنه فلم يبقى وجهه معقول في الإعجاز سوء الفصاحة علما أن الوجه في كون القرآن معجزا هو الفصاحة".

وشان علم الإعجاز في ارتكازه على علوم البلاغة شان علم التفسير، فالبلاغة قاعدة علمي التفسير والإعجاز.[1]

لأن البلاغة العربية لم تنشأ مكتملة الأبواب والمباحث، بل نشأت شأن كل علم في بدايته، مجرد أفكار وملاحظات ساذجة متناثرة على هامش العلوم العربية والإسلامية الأخرى، ومن أهم العلوم التي احتضنت البلاغة في نشأتها «العلوم القرآنية»، لأن الصلة بين علم التفسير والبلاغة واضحة ومنطقية، فالتفسير علم يهتم في مجمله بتحليل النص القرآني من نواحيه اللغوية والبيانية، وتحليل الجانب البلاغي في القرآن مستوى من مستويات التفسير،[2] ولفهم الصلة بين البلاغة ودراسة الإعجاز القرآني هناك طريقان هما:

الأول: أن البلاغة في حدودها وأصولها، ومصطلحاتها استقرئت من خلال النص العربي، لأن البلاغة قبل نزول القرآن الكريم كانت بلاغة تطبيقية في النصوص الأدبية، من شعر ونثر.

وبعد نزول القرآن الكريم احتاج الناس إلى فهم آياته وأحكامه، فكان الرسول يفسر لهم ما يستغلق ويوضح لهم الغامض، ويعينهم على فهم الحكم القرآني، قولا أو فعلا أو إقرارا.

الثاني: أصبحت البلاغة من مواطن دلائل القرآن الكريم إذ امتدت الفتوح الإسلامية لتشمل مناطق وشعوب غير العرب المسلمين في الجزيرة العربية، فنشأت وترعرعت علوم البلاغة العربية خدمة للقرآن الكريم، فهي تكشف عن جماليات فن القول العربي كما أنها تجلي الإعجاز البياني في الحرف، والكلمة، والآية، والسورة، والقرآن الكريم بآياته وسوره وحروفه وألفاظه.

---

[1]- مباحث في البلاغة والإعجاز القرآني: محمد رفعت احمد زنجير، ص ص، 20-21.

[2]- البلاغة العربية: تاريخها، مصادرها، مناهجها: علي عشري زايد، مكتبة الآداب، ط 6، 1429 هـ-2008 م، القاهرة، ص ص، 13-14.

والبلاغة في إبراز بيان اللغة العربية، وسيلة من وسائل تربي الإنسان على الذوق العربي، الذي يقود بالتالي إلى فهم البيان القرآني.[1]

ومن ثم بدأ علماء الكلام يطرحون في مؤلفاتهم التي تعرض للإعجاز القرآني بعض الملاحظات والأفكار البلاغة التي ظلت تنمو والاهتمام بها يتزايد حتى أصبحت معظم الكتب التي تؤلف حول الإعجاز القرآني كتبا بلاغية، لأن قضية الإعجاز القرآني نشأت في الأساس نشأة بلاغية.

فلقد كانت هذه القضية واحدة من أهم القضايا التي عني بها علم الكلام منذ نشأته، حتى أفرد لها علماء الكلام كتبا خاصة مثل:[2] "النكت في إعجاز القرآن" للرماني، ومن أهم موضوعات البلاغة في هذا الكتاب قوله: "والبلاغة على عشرة أقسام: الإيجاز والتشبيه، والاستعارة والتلاؤم، والفواصل والتجانس، والتصريف والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان".
وقد جاء كلامه على هذه الأقسام متفاوتا إذ شغلت الأمثلة والشواهد حيزا كبيرا من الكلام، أما التعريفات البلاغية فكانت غاية في الإيجاز.
"بيان إعجاز القرآن للخطابي (ت 388 هـ)": بني كتابه على طريقة النظم حين ذهب فيه أن الكلام: "إنما يقوم بهذه الأشياء الثلاثة لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظما أحسن تأليفا، واشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه".

وتحدث عن فصاحة الكلمة لأنها في نظره جزء من فصاحة الكلام وبلاغته وحسن النظم، ووصف الكلمة بالفصاحة والجزالة البعيدة عن الغرابة، لأن البلاغة في نظره لا تعبأ بالغرابة.[3]

---

[1]- البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل: محمد بركات حمدي أبو علي، دار البشير، عمان، ط 1، 1416 هـ- 1996 م، ص 95، 96.

[2]- البلاغة العربية: تاريخها، مصادرها، مناهجها، علي عشري زايد، ص 14.

[3]- علوم البلاغة (المعاني، البديع، البيان): محمد أحمد قاسم محي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط 1، 2003، ص 18، 19.

"إعجاز القرآن للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت 406 هـ)": تناول فيه جوانب الإعجاز البياني في القرآن الكريم، وعرض لأنواع بلاغية عديدة مثل: الاستعارة، وحسن التشبيه والغلو، والكناية والتجنيس والمساواة...[1]

كاد معظم الباحثون يتفقون على أن الإعجاز البلاغي هو الوجه الأساسي لإعجاز القرآن ما تضمنه القرن من فنون البلاغة المعروفة التي بني عليها النظم القرآني، فإعجاز القرآن البلاغي أمر فوق ذلك إنه حسن التأليف وروعة الانسجام وتمام الإحكام، وقد لقب بعض علماء البلاغة والإعجاز ذلك الانسجام الذي يعد أثرا من آثار نسج القرآن المحكم بالنظم، ولذا كانت دراسة البلاغة عموما وبلاغة القرآن بصفة خاصة لا تؤهل صاحبها لأكثر من معرفة بعض خصائص هذا النظم القرآني، وفهم شيء من أسراره، وهذا ما جعل الزمخشري يجعلها في مقدمة "كشافه" أهم العلوم وأولها لمن يُهم بالإقدام على دراسة كتاب الله ومحاولة تفسيره، وقد رأى ذلك أيضا غير الزمخشري كابن الأثير ضياء الدين، ويحي بن حمزة العلوي وغيرهما...

وبلاغة القرآن ليست فنونا بلاغية فحسب، وإنما هي بناء محكم تألف من مواد هي نفسها التي تألف منها كلام العرب – لكن كان تأليف القرآن ونظمه على درجة عالية لم يبلغها أرقى ما عرف العرب من الكلام.[2]

والحديث عن علم البلاغة طويل، والبحث فيها يطول لأن البلاغة فن لا يقف عند تصور باحث واحد ولا يحده عصر من العصور.

[1]– مدخل إلى البلاغة العربية، علم المعاني، علم البيان، علم البديع: يوسف أبو العدوس، ص 16

[2]– فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب: فتحي عبد القادر فريد، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، 1400 هـ – 1980 م، ص– ص، 9– 11.

الفصل الثاني: أسـلـوب الالتفــات

المبحث الأول: مفهــوم الالتفــات

المطلب الأول: تعـريـف الالتفــات

المطلب الثاني: آراء القـدمــاء والمحـدثيــن فــي الالتفـات

المطلب الثالث: بــلاغــة الالتـفــات

المبحث الثالث: صــور الالتفــات

المطلب الأول: الالتفــات فــي الضمـائــر

الالتفات مــن التكلــم إلى الخطــاب

الالتفـات مـن الخطــاب إلــى التكلــم

- الالتفات مـن الغائــب إلــى التكلــم

- الالتفات من التكلم إلى الغائب

- الالتفات من الغائب إلى الخطاب

– الالتفات من الخطاب إلى الغائب

المطلب الثاني: الالتفــات فــي العــدد

1. الانتقال من خطاب الواحد إلــى خطــاب الاثنيــن
2. الانتقــال مــن خطــاب الـواحـد إلـى خطــاب الجمــع
3. الانتقــال مـن خطــاب الاثنيـن إلــى خطــاب الـواحـد
4. الانتقــال مــن خطـاب الاثنيـن إلــى خطــاب الجمــع
5. الانتقــال مـن خطــاب الجمـع إلــى خطـاب المفـرد
6. الانتقــال مـن خطـاب الجمــع إلــى خطــاب التثنيــة

المطلب الثالث: الالتفــات فــي الأفـعــال

الانتقــال مــن الفعـل الماضـي إلــى فعــل الأمــر

الانتقــال مــن الفعـل المضــارع إلــى الفعـل الأمــر

الانتقــال مــن الفعل المــاضــي إلــى الفعـل المضــارع

الانتقال من الفعل المضارع إلى الفعل الماضي

المبحث الرابع: أهــداف الالتفــات

المبحث الأول: مفهوم الالتفات

المطلب الأول: تعريف الالتفات

1- لغة: لقد تعددت المعاني اللغوية لمادة (ل. ف. ت) حيث إذا عدنا إلى المعاجم اللغوية نجد عدة معاني: يقول ابن منظور (ت 711 هـ) في كتابه "لسان العرب": "لفت وجهه عن القول: صرفه وتلفت إلى الشيء، التفت إليه: صرف وجهه إليه ولفته عن الشيء يلفته لفتا: صرفه، فاللفت هو الصرف يقال مالفتك عن فلان أي ماصرفك عنه. واللفت: لواه عن رأيه، وقيل اللي الشيء هو أن ترمي به إلى جانبك، ويقال لفِت الرجل بكسر الفاء لفتا: حمق، وعمل بشماله دون يمينه، واللفوت من النساء: كثيرة التلفت..." [1]

وقد جاء في معجم "العين" لخليل ابن أحمد الفراهيدي (ت 170 هـ) لفت: اللفت: لي الشيء، كما تقبض على عنق إنسان فتلفته، قال رؤبة: ولفت كسار العظام خضاد واللفت والفتل واحد. ولفت فلانا عن رأيه أي صرفته عنه ومنه الالتفات ويقال: لفت فلان مع فلان، كقولك صغوه معه، ولفتاه شقاه. " وفي حديث حذيفة: " من إقراء الناس للقرآن منافق لا يدع منه واوا ولا ألفا، يلفته بلسانه كما تلتفت البقرة الخلا بلسانها". والألفت من التيوس: الذي قد اعوج قرناه وإلتويا. واللفوت: العسر الخلق. واللفيتة: مرق يشبه الحسي، وقريبا منها.[2]

والملاحظ هنا أن التعريف اللغوي عند ابن منظور والخليل بن احمد الفراهيدي للالتفات يدور معناه حول الانصراف واللي.

وعرفه يوسف أبو العدوس بأنه: هو اللي والصرف والتحول، تقول لفته إذا أدار عنقه من اليمين إلى الشمال أو العكس.[3]

أما هنا فالالتفات يدور معناه حول الانصراف والتحول.

---

[1] – لسان العرب: ابن منظور، مادة (ل.ف.ت)، ص

[2] – كتاب العين: الخليل بن احمد الفراهيدي، مج 4، ص 93.

[3] – مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني (علم البيان، علم المعاني، علم البديع،): يوسف أبو العدوس، دار المسيرة، كلية الآداب، جامعة اليرموك، د ط، د ت، ص 50.

وجاء في "المنجد في اللغة" لفت: لفتا الشيء: لواه وصرفه إلى ذات اليمين أو الشمال و– فلانا عن رأيه: صرفه و– اللحاء عن الشجر: قشره، و – ردائه على عنقه: عطفه والكلام: أرسله على عواهنه لا يبالي كيف كان – ويقال "لفته بكذا" أي أعطاه إياه.[1]

وجاء في "أساس البلاغة" للزمخشري (ت 538 هـ): "لفت التفت إليه وتلفت؛ قال: (من الطويل).

تلفت نحو الحي حتى وجدتني ..... وجعت من الإصغاء ليتا وأخدعا

ومالي إليه ملتفت ومتلفة، وإذاأخبرك فلا تلتفت لفته أي تطلع طلعه، وأخذ بعنقه فلفته، ولفت ردائي على عنقي: عطفته. ولفت الدقيق بالسمن: عصدته، واتخذت لفيتة: عصيدة. ولفته مع فلان: صغوه، ولفتاه. ورجلألفت: أحول.[2]

عرف صاحب "المفردات في غريب القران" لفظة لفت بقوله: " لفت: يقال لفته عن كذا صرفه عنه، قال تعالى:﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾،[3] أي تصرفنا. ومنه التفت فلان إذا عدل عن قلبه بوجهه. وامرأة لفوت تلفت من زوجها إلى ولدها من غيره واللفيتة ما يغلظ من العصيدة".[4]

وجاء في القاموس المحيط: "لفته يلفته لواه، وصرفه عن راية ومنه الالتفات والتلفت، واللحاء عن الشجرة: قشره والريش على السهم: وضعه عن متلائم بل كيف اتفق واللفت بالكسر السَّلْجَمْ وشق الشيء وصغوه والبقرة والحمقاء وحياء اللبؤة وثنية جبل قديد بين

الحرمين ويفتح والألفت من التيس الملتوي احد قرنيه والأعسر والأحمق كاللفات كالسحاب.[5]

---

[1] – المنجد في اللغة: دار المشرق، بيروت، لبنان، ط 39، د ت، ص 727.

[2] – أساس البلاغة: الزمخشري، تح، محمد باسل، عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1419هـ، 1998م، مادة (ل.ف.م)، ج 2، ص 173.

[3] – سورة يونس الآية 78.

[4] – المفردات في غريب القران: الراغب الأصفهاني، تح، محمد خليل عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1992، ص 56.

[5] – القاموس المحيط: الفيروز بادي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 5، ج1، ص 204.

من التعريفات اللغوية السابقة يتبين لنا أن اللغويين لم يخرجوا في تحديدهم للمعنى اللغوي لكلمة الالتفات عن معنى: الانصراف، واللي، والتحويل، وذكر الله عز و جل في كتابه الكريم لفظة " الالتفات" في ثلاثة مواضع، ولم تخرج فيها عن المعنى اللغوي الذي أورده اللغويين في معاجمهم وهو الانصراف واللي، وهي:

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾،[1] وجاء في شرح اللفظة في تفسر الكشاف " للزمخشري " (ت 215 هـ): " لتلفتنا" لتصرفنا، واللفت والفتل أخوان ومطاوعهما الالتفات الانفتال.[2]

فقد ورد في "الجامع لأحكام القران للقرطبي" : " أي تصرفنا وتلوينا يقال لفته يلفته لفتا إذا لواه وصرفه ومن هذا التفت إنما هو عدل عن الجهة التي بين يديه يريد من عبادة الأصنام.[3] فمعنى الآية جئتنا لتصرفنا عن الحق.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾،[4]

فسرها أبو حيان التوحيدي، بقوله: "والظاهر إن قوله "ولا يلتفت" من التفات البصر وقالت فرقة: من لفت الشيء يلفته إذا ثناه، ولواه، فمعناه: ولا يتثبط".[5]

---

[1] – سورة يونس: الآية 78

[2] – تفسير الكشاف: الزمخشري (ابو قاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي)، اعتنى به وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط 3، 1430هـ، 2009م،ج 11، ص 470.

[3] – الجامع لأحكام القران الكريم: ابن كثير، راجعه ونقحه الشيخ خالد محمد محرم، بيروت، لبنان، د ط، 2003، ج 2، ص 387.

[4] – سورة هود: الآية 80

[5] – تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1413هـ، 1993م، ج 5، ص 249.

الموضع الثالث: وقوله جل شانه: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾.[1]

تبيّن لنا من خلال المواضع الثلاث السابقة أن معنى لفظة "الالتفات" لا تخرج عن المعنى الذي أورده المعجميون، فهي تعني: الانصراف والتحويل واللي.

كما أنّ المصطلح ذكر في الكثير من المواضع في الأحاديث النبوية، وبالمعنى اللغوي نفسه فمن ذلك ما جاء في صحيح البخاري (ت 256 هـ): في كتاب "الأذان" باب "الالتفات في الصلاة": حدثنا أبو الأحوص قال: "حدثنا أشعب بن سليم عن أبي مسروق عن عائشة قالت: " هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد".[2]

2-**اصطلاحا:** إنّ الالتفات من أضرب البلاغة العربية، فقد عرفه البلاغيون قديما وحديثا وحددوا له أقساما وصورا فهو يتسع حينا ويضيق حينا أخرا عندهم، وهذا باعتبار الصور التي يحددها كل عالم من العلماء فقد عرفه الجمهور " أنه التعبير عن معنى بطريق من الثلاثة بعد التعبير عنه بآخر منها".[3]

وقال الزركشي عن حقيقيه: "هو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية واستدراك للسامع وتجديدا لنشاطه، وصيانة لخاطره من الملل والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه كما قيل لا يصلح النفس أن كانت مصرفة إلا التنقل من حال إلى حال".[4]

وقد روى الزركشي عن حازم تعليقه على الالتفات فقال: "قال حازم في منهاج البلغاء وهم يسأمون الاستمرار على ضمير متكلم أو ضمير مخاطب فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة وكذلك أيضا يتلاعب المتكلم بضميره فتارة يجعله تاء على جهة الأخبار عن نفسه،

---

[1] – سورة الحجر: الآية 65

[2]– صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1423هـ، 2002م، ص 185.

[3]– التلخيص في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، تح، عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1997، ص 26.

[4]– البرهان في علوم القران: الزركشي، تح، محمود أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، ، دمشق، سوريا، ط 1، ج 3، 1983، ص 314.

وتارة يجعله كافا فيجعل نفسه مخاطبا، وتارة يجعله هاء فيقيم نفسه مقام الغائب فلذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير المتكلم والمخاطب لايستطاب، وإنما يحسن الانتقال من بعضها إلى بعض وهو نقل معنوي لا لفظي، وشرطه أن يكون الضمير المنتقل إليه عائدا في نفس الأمر إلى الملتف عنه ليخرج".

وأورد صاحب البرهان أمثلة لبيان حقيقة الالتفات: "نحو أكرم زيدا وأحسن إليه فضمير أنت الذي هو في أكرم غير الضمير في إليه وأعلم أن التكلم والخطاب والغائب مقامات والمشهور أن الالتفات هو الانتقال من أحدها إلى الآخر بعد التعبير بالأول".[1]

ويورد ابن الأثير تعريفين للالتفات فالأول لعلماء المعاني، فيقول: " وهذا من نعوت المعاني وحده: أن يكون المتكلم أخذا في معنى من المعاني فيعترضه فيه شك أو يظن أن سائلا يسأله عن سببه، فكأنه يلتفت إليه فيذكر السبب أو يبطل الإيراد بكلام لكلام غير ما هو آخذ فيه".[2]

وأما الثاني فهو لعلماء البيان: " وحده إنّ الالتفات إن يدخل المتكلم قضية كلية ليست غريبة عن جملة القول، بل القول مندرج طيها، وهي ترجع عليه بالتوكيد والتثبيت".[3]

ثم بعد ذلك سار الالتفات بقية رحلته مع البلاغيين منتقلا من عالم إلى عالم يتذوقه وينظر في أمره ويقول رأيه بعد تفكير عميق حتى وصل إلى "السكاكي" فظهرت بصماته في فن "الالتفات" في كتابه "المفتاح" حيث قال: " الحكاية والخطاب والغائب ثلاثتها ينقل كل واحد منهما إلىالأخر ويسمى هذا النقل التفاتا عند علماء علم المعاني والعرب يستكثرون منه

[1] – البرهان في علوم القران: المرجع السابق: ج 3، ص 314.

[2] – جوهر الكنز: نجم الدين بن الأثير، تح، محمد زغلول سلامة، الإسكندرية، مصر، د ط، د ت، ج 1، ص 106.

[3] – جوهر الكنز: نجم الدين بن الأثير،تحقيق وتقديم ودراسة: محمد زغلول سلام،الإسكندرية، مصر، دط، دت، ج 1، ص 106.

ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع وأحسن تطرية لنشاطه وعملا بالاستدرار إصغائه".[1]

ومما تقدم فإن الالتفات بمعناه الاصطلاحي يعني تصريف الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر لتعبير عن أغراض بلاغية وإعجازية دقيقة ترمي إلى غايات وأهداف تدرك.

المطلب الثاني: آراء القدماء والمحدثين في الالتفات

1. **القدماء:** لقد تناول اغلب العلماء القدامى موضوع الالتفات، وأشاروا إليه، لأنه من الأساليب اللغوية الفعالة في البلاغة العربية، فهمنهم من جعله تحت مبحث علم البيان ومنهم من جعله تحت مبحث علم البديع، وآخرين جعلوه تحت مبحث علم المعاني، كما أنهماختلفوا في تسميته.

ونذكر من هؤلاء:

- **الأصمعي (ت 211هـ):** هو أول من أطلق تسمية الالتفات على هذا الأسلوب، حيث جاء في كتاب أبي هلال العسكري (ت 395هـ) "سر الصناعتين": (إن أقدم إشارة لهذا المصطلح تلك التي يرويها أبو إسحاق الموصلي عن الأصمعي، حيث قال: أخبرنا أبو أحمد قال: أخبرني محمد ابن يحي الصولي، قال: قال الأصمعي: أتعرف التفاتات جرير؟

قلت لا، فما هي؟ قال:

أَتَنْسَى إِذْ تُوعِدُنَا سُلَيْمى ..... بِعُودِ بِشَامَةٍ سَقْي البِشَامِ*

ثم قال: أما تراه مقبلا على شعره إذا التفت إلى البشام، فدعا له.[2]

---

[1]- مفتاح العلوم: السكاكي، تح، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1420هـ، 2000م، ص 296.

*- البشام: شجر ذو ساق وأوراق ولا يثمر.

[2]- كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، لأبو الحسن بن سهل العسكري، تر علي محمد البخاري ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط 1، 1371هـ، 1952م، ص 392.

وهذه الرواية التي تداولتها كتب التراث والتي تدل على أن مصطلح الالتفات كان متداولا منذ القرن الثاني الهجري تقريبا.[1]

- **أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 209هـ): "مجاز القرآن"**

يعد من أوائل الغويين الذين تحدثوا عن الالتفات، وتحدث في كتابه الذي ألفه لتفسير بعض الألفاظ والمعاني القرآنية فيقول: "ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد ثم تركت وحولت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب،قال تعالى: (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم) ،[2] أي بكم"[3]

كما أن أبا عبيدة في كتابه هذا لم يتناول كل أنواع الالتفات، كالالتفات من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم، وهذا ما فطن إليه بعض الدارسين المحدثين، منهم حسن طبل حيث يقول: " على هذا النحو كانت وقفة أبي عبيدة إزاء ألوان الظاهرة وتجلياتها في القران لا تستهدف سوى البرهنة على أنها كلاً منها، إنما هو مسلك تعبيري له نظائره في الشعر العربي؛ أي أن الرجل – بعبارة أخرى – كان معنيًّا بتبرير الظاهرة لا بتحليلها والكشف عن دورها التعبيري في تشكيل المعنى او تكثيف الدلالة"[4].

والملاحظ أنه لم يذكر الالتفات بهذه التسمية بل ذكر الترك والتحويل، وصنفه ضمن المجاز.

- **أبو زكريا الفراء (ت 207 هـ): "معاني القرآن"**

لقد تأثر الفراء بأبي عبيدة، كما أنه لم يذكره بتسميته الالتفات، غير أنه لم يقدم لها كما فعل أبو عبيدة مصطلحا يحتويه ويلم أشتاته المتناثرة في كتابه، فاستشهد بالكثير من آيات القرآن الكريم، فالملاحظ أنه لم يتعرض إلا لنوعين من أنواع الالتفات، وهو الالتفات

---

[1]– أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: حسن طبل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط 1، 1431هـ، 2010م، ص 14.

[2] – سورة يونس: الآية 22

[3] – البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، ص ص، 29–30.

[4]– أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: حسن طبل، ص 16.

من الغائبإلى الخطاب أو من الخطاب إلى الغائب، وكذلك لم يشر كسابقيه إلى جمالية الالتفات وبلاغته في كل موطن ورد فيه.

وأدرجه تحت باب "مجاز القران"، ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ **اخْتَصَمُوا** فِي رَبِّهِمْ﴾.[1]

فقال: "لم يقل اختصما لكنهما جمعان ليسا برجلين ولو قيل: اختصما كان صوابا.[2]

• **ابن قتيبة (ت 276هـ): "تأويل مشكل القرآن":** فهو أيضا لم يذكر مصطلح الالتفات كما فعل منقبله "أبو عبيدة"، وإنما أدرجه ضمن ظاهرة "المجاز"، فيقول في مقدمة كتابه: "وللعرب مجازات في الكلام مثل الاستعارة والتمثيل والتقديم ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع مخاطبة الواحد...مع أشياء كثيرة سنراها في أبواب المجاز وبكل هذه المذاهب نزل القرآن".[3]

ومن الأمثلة التي ذكرها ابن قتيبة، ما جاء في باب "مخالفة ظاهرة اللفظ معناه": ومنه أن تخاطب الشاهد بشيء ثم تجعل الخطاب له على لفظ الغائب كقوله عز وجل: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ **بِهِم** بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا﴾[4]، وكذلك تجعل خطاب الغائب للشاهد، كقول الهذلي:

يَاوَيْحَ نَفْسِي كَانَ جِدَّةُ خَالِدٍ ..... وَبَيَاضُ وَجْهَكِ لِلتُّرَابِ الأَعْفَرِ

ومنه أن يخاطب الرجل بشيء ثم يجعل الخطاب لغيره كقوله تعالى: (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ).[5]

---

[1] – سورة الحج: الآية 19.

[2] – معاني القران: أبو زكريا يحي بن زياد الفراء، تح: محمد علي النجار واحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت، ط 3، 1403هـ، 1983م، ج 2، ص 220.

[3] – تأويل مشكل القران: ابن قتيبة، شرحه: السيد احمد صقر، دار التراث، ط 2، 1393هـ، 1973م، ص 20.

[4] – سورة يونس: الآية 22

[5] – سورة هود: الآية 14

ومن هنا نجد ابن قتيبة قد ذكر من خلال أمثلة من القرآن الكريم ومن الشعر بعض أضرب الالتفات.

• **ابن المعتز (توفي 296 هـ) "كتاب البديع":** فقد تناول الالتفات تحت ما أسماه "محاسن الكلام"، وكان الالتفات هو أول تلك المحاسن عنده، وهو يعرفه بقوله: "هو انصراف المتكلم من المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ثم قال: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[1]"

وقال جرير:

متى كان الخيام بذي طلوحٍ ..... سقيتِ الغيثَ أيتها الخيام

أتنسى يَوم تُصقل عارضيها ..... بعودِ بشامة سقي البشام[2]

والملاحظ أن الالتفات عند ابن المعتز ينقسم إلى قسمين: "نوع ينصرف فيه المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك، وهذا هو الذي يصدق على الالتفات في الآية القرآنية المذكورة آنفا عند أبي عبيدة، ونوع ثان ينصرف فيه المتكلم عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر، أو بعبارة أدق: بعد أن يفرغ من المعنى وتظن أنه سيجاوزه يلتفت إليه ومثل له بالتفاتات جرير.[3]

نجد ابن المعتز أطلق على هذا الأسلوب مصطلح الالتفات على عكس سابقيه،الذين عرفوه تارة بالإيجاز وتارة بالترك والتحويل والانصراف.... كما أن تعريفه له كان أكثر دقة من سابقيه.

• **أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) " الصناعتين":** خصص أبو هلال العسكري فصلا في كتابه للالتفات، فعده من فنون البديع كما فعل ابن المعتز، ولكنه كان أدق و

---

[1] – سورة إبراهيم: الآية 19-21

[2] – ينظر: كتاب البديع، عبد الله ابن المعتز، تر، أغناطوس كراتشقوفسي، دار المسيرة، بيروت، ط 3، 1982م، ص 58.

[3] – البلاغة تطور وتاريخ: شوقي ضيف، ص ص، 30،31.

أوضح في تقسيمه من ابن المعتز، وذلك بذكره الوثيقة المماثلة بين المعنى الذي يكون فيه الشاعر والمعنى الذي ينصرف إليه.[1]

والالتفات عنده ضربان: " فواحد أن يفرغ المتكلم من المعنى، فإذا ضننت أنه يريد أن يتجاوزه يلفت إليه ويذكره بغير ماتقدم ذكره، والضرب الثاني أن يكون الشاعر أخذامن معنى وكأنه يعترضه شكًا أو ظنًا أن ردًا يرد عليه قوله، أو سائلاًيسأله عن سببه، فيعود راجعا إلى ماقدمه فإما أن يؤكده أو يذكر سببه أو يزيل الشك عنه" ومثاله: قول المعطل الهذبي:

تَبِينُ صَلاةُ الحَربِ مِنَّا ومِنهُم ..... إذَا مَا التَقَينَا والمُسَالِمُ بَادِنُ

فقوله: "والمُسَالِمُ بَادِنُ" رجوع من المعنى الذي قدمه،حتى بيّن أن علامة صلاة الحرب من غيرهم أن المسالم بادن والمحارب ضامر.[2]

وعلى ذلك فان أبا هلال العسكري في مبحث الالتفات لم يظهر له جهده سواء أنه جعل الالتفات نوعين نقل أحدهما تعريفا وأمثلة وتعليقا من ابن المعتز والأصمعي، ونقل الثاني بتعريفه وأمثلته والتعليق عليه من "قدامة ابن جعفر".

• **الزمخشري (ت 538هـ) "الكشّاف":** اعتبر الزمخشري الالتفات من البيان وأول إشارة إليه كانت في تفسيره لسورة الفاتحة لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[3]

فإن قلت: لم عُدل عن لفظ الغائب إلى لفظ الخطاب؟ قلت: هذا يسمى الالتفات في علم البيان، قد يكون

من الغائب إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغائب، ومن الغائب إلى التكلم كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ ،[4] وقوله أيضا: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ﴾.[5] وهذه الآيات تمثيل لصور الالتفات من ضمير إلى آخر كما ذكرناه سابقا.

---

[1] – الالتفات في القران الكريم إلى أخر سورة الكهف خديجة محمد البناني، ص 21.

[2] – ينظر: كتاب الصناعتين: أبو هلال العسكري، ص 392.

[3] – سورة الفاتحة الآية 4.

[4] – سورة يونس: الآية 22.

[5] – سورة فاطر: الآية 9.

ثم جاء بمثال من الشعر الجاهلي حيث قال: " وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات:

تَطَاوَلُ لَيْلُكَ بِالأَثْمَدِ ..... وَنَامَ الخَلِيُّ وَلَمْ تَرْقُدِ

وَبَاتَ وبَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ ..... كَلَيْلَةَ ذِي العَاثِرِ الأَرمَدِ

وَذَلِكَ مِنْ نَبَأٌ جَائَنِي ..... وخَبَّرْتُهُ عَنْأَبِي الأَسْوَدِ[1]

ركز الزمخشري على التفات الضمائر إلا أنه يبرز القيمة الفنية للالتفات ويقول في هذا: " إن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك تطرية لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء إليه من أجزاءه على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعه بفوائد"[2].

نلاحظ أن الزمخشري لم يذكر الالتفات في باب مستقل، ولكنه جاء في تضاعيف شرحه للقرآن الكريم في كشافه.

2. المحدثين:

أثناء إطلاعنا على بعض مؤلفات المحدثين في علم البلاغة وجدنا أنهم لم يخرجوا عن تعريفات القدامى في تعريفهم للالتفات، فدارت تعريفاتهم كلها حول العدول وخروج الكلام عن مقتضى الظاهر نذكر منهم:

- **محمد السيد شيخون: يعرفه بقوله:** "هو فن من البلاغة ملاكه الذوق السليم، والوجدان الصادقويلقب بشجاعة العربية... وهو من قبيل خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، وهو عند جمهور البلاغيين: التعبير عن معنى بطريقة من الطرق الثلاثة: التكلم، والخطاب، والغائب، بعد التعبير عنه بطريق آخر منها"[3]
- **الطاهر بن عاشور (ت 1393هـ) " التحرير والتنوير":** حيث عدّ الالتفات وجها من وجوه الإعجاز القرآني: "نرى من أفانين الكلام الالتفات، وهو نقل الكلام من أحد الطرق

[1] – الأبيات من المتقارب، وهي لأمرئ القيس في ديوانه، ص 84.

[2] – الكشاف: الزمخشري،ج1، ص ص، 28، 29.

[3]– البلاغة الوافية: محمود شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، الأزهر، القاهرة، د ط، 1988، ج 2، ص 121.

التكلم أو الخطاب أو الغائب إلى طريق آخر منها، وهو بمجرده ممدود من الفصاحة، وسماه "ابن جني" شجاعة العربية، لأن ذلك التغيير يجدد نشاط السامع فإذا انضم إليه لطيف يناسب الانتقال إلى ما انتقل إليه صار من أفانين البلاغة.[1]

فالالتفات عند ابن عاشور فن من فنون الالتفات يعبر عنها بأحد الطرق، ويقصد بها الضمائر متأثرًا في تعريفه بالقدامى.

• **محمد حسين أبو موسى:** يرى أن الالتفات: " ما يعزى إلى الأصمعي حول التفاتات جرير وما قيس عليه كبيت النابغة الجعدي، وكثير وحسان، وابن ميادة هذا كله من الاعتراض وليس من الالتفات".

ويشير إلى قيمة الانتقال في الالتفات عامة من خلال الزمخشري فيقول: "وإذا كان الالتفات إلى الغيبة أدرك الزمخشري فيه معنى التشهير والنداء حتى كان المتكلم يخيل إليه هذا الالتفات انه يحكي هذا الأمر العام ويرويه لكل عاقل... وقد يعدل المتكلم إلى مواجهته بزيادة اللوم والإنكار".[2]

وهنا ركز محمد حسين أبو موسى على الالتفات بمقامات الضمائر.

• **إبراهيم أنيس "أسرار البلاغة":** نجده يعرض ما يمد للالتفات بصلة، كاستعمال الجمع وإيراده المثنى كقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا﴾[3] وقوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾،[4] حيث يرى فيها وفي أمثالها خروج اللغة عن مسلكها المنطقي ويقطع الأمر جازما بقوله: "ومهما أَجْهَدَ اللغويون أنفسهم في تبرير مثل تلك

[1]– التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية، تونس، د ط، 1984، ج 1، ص 109.

[2]– البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: محمد حسين أبو موسى، دار الفكر العربي، د ط، د ت، ص 643.

[3] – سورة المائدة: الآية 38.

[4] – سورة الحج: الآية 19.

الاستعمالات، فلن يستطيعوا إنكارها لا تمد للمنطق العام بصلة وذلك لأن للغات منطقها الخاص". [1]

وبعد هذه النظرة عن مختلف التعريفات بين كل من القدامى والمحدثين حول أسلوب الالتفات، رأينا أنّالاتفاق كان موجودا في التعريفات اللغوية، ولكنه غاب في التعريفات الاصطلاحية، وعموما يمكننا القول: الالتفات يعني التحول من أسلوب إلى آخر مع الخروج عن مقتضى الظاهر لتحقيق غاية بلاغيّة.

المطلب الثالث: بلاغة الالتفات

الفكرة العامة التي تدعو إلى الالتفات في كافة أقسامه هي تنشيط الملقي أو المتلقي وإيقاظه، لأن النفس مجبورة علي حب المتجدد فإذا نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب كان قد أدعى إلى الإقبال عليه .وقد يكون لكل موضع من مواضع الالتفات فائدة تقتضيه وفكرة خاصة تدعو إليه . وقد زخر تراثنا الأدبي بهذا الفن من البلاغة ، وذكر عمر عبد الهادي عتيق في كتابة "علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة " عن ابن الأثير "اعلم أن عامة المنتمين إلي هذا الفن–الالتفات–إذا سئلوا عن الانتقال عن الغيبة إلى الخطاب وعن الخطاب إلى الغيبة قالوا: كذلك كانت عادة العرب في أساليب كلامها، وهذا القول هو عكاز العميان، كما يقال: ونحن إنما نسأل عن السبب الذي قصدت العرب ذلك من أجله، فالانتقال من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلي الخطاب، لا يكون إلا لفائدة اقتضته غير أنها تحد بحد، ولا تضبط بضابط ، لكن يشار إلي مواضع منها ليقاس عليها غيرها، فإن قد رأينا الانتقال من الغيبة إلي الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن المخاطب ، ثم رأينا ذلك بعينه هو ضد الأول قد استعمل في الانتقال من الخطاب إلي الغيبة، فعلمنا حينئذ أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري علي وتيرة واحدة وإنما مقصور علي العناية بالمعني المقصود، المعنى يتشعب شعب كثيرة لا تنحصر، وإنما يؤتي بها على حسب الموضع الذي ترد فيه".[2]

---

[1]– من أسرار اللغة العربية: إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط 6، 1978، ص ص، 57،58.

[2] – علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة: عمر عبد الهادي عتيق، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط 1، 2012، ص 286.

فالملاحظ في قول ابن الأثير أن الالتفات فن بلاغي استعمل لتعظيم شان المخاطب.

ويبحث عن الالتفات في علوم البلاغة الثلاثة : "أما في علم المعاني فباعتبارها على خلاف مقتضي الظاهر، وأما في البيان فباعتبارها أنه إيراد لمعنى واحد في طرق مختلفة الدلالة عليه جلاء وخفاء.وبهذين الاعتبارين يفيد الكلام حسنا ذاتيا للبلاغة ، وأما في البديع فمن حيث أن فيه جمعا بين صور متقابلة في معنى واحد فكان من المحصنات المعنوية . ويؤيده أن صاحب المفتاح أورده تارة في المعاني ، وأخرى في البديع وفي حين عده من خلاف مقتضي الظاهر كناية إيماء إلي أنه من البيان أيضا".[1]

ونوجز بلاغة الالتفات في النقاط التالية:

- الالتفات يعطي الكلام رونقا وتأنقا وجمالا إذا جاء طبيعيا غير مستكره.
- الالتفات إذا أتى في كلام فصيح لا ينقص من فصاحته بل يضيف إليه حسنا.
- يأتي عفوا وانتهازا.
- يوقظ السامع ليقبل على الكلام بنشاط و قوة وهذا ما يزيد من قيمته ويضاعف الاهتمام به.
- استعملوه العرب وجملوا به نثرهم وشعرهم على السواء.
- فن بلاغي استعمل لتعظيم شأن المخاطب.

[1]– الكشاف: الزمخشري، ج 1، ص 63.

المبحث الثالث: صور الالتفات

المطلب الأول: الالتفات في الضمائر

ونعني به الانصراف من الحديث عن طريق الضمائر (المتكلم المخاطب الغائب)، وهو أكثر الصور ورودا في القران الكريم وهو ستة أنواع تتمثل في:

1. **الالتفات من التكلم إلى الخطاب:** بعد بحث طويل في كتب البلاغة العربية فما وجدنا مثالا واحدا في القرآن الكريم، وهو قوله تعالى ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.[1]

وقصة هذه الآية ما أورده الخازن في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾.[2]

«هو حبيب النجار وقيل كان قصارا وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المسجد، وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه، فإذا أمسى قسمه نصفين نصف لعياله ويتصدق بنصفه، فلما بلغه أن قومه كذبوا الرسل وقصدوا قتلهم جاءهم... وقيل كان في غار يعبد ربه فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال لهم أتسألون على هذا أجرا قالوا لا، فأقبل على قومه وقال: "يا قوم اتبعوا المرسلين..... المهتدون "، أي لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فيحصل لكم خير الدنيا والآخرة، فلما قال ذلك قالوا له: وأنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بإلههم فقال: "ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون"، قيل أضاف الفطرة إلى نفسه والرجوع إليهم؛ لأن الفطرة اثر النعمة وكانت عليه أظهر، والرجوع فيه معنى الزجر فكان بهم أليق، وقيل معناه وأي شيء بي إذا لم أعبد خالقي وإليه تردون عند البعث فيجزيكم بأعمالكم».[3]

فما ورد في قصة الرجل الصالح الذي أرشد القوم وهداهم، لكن الله العظيم عند إيراده لهذه القصة أشابها بشيء من رونق الكلام وبلاغته فصارت كامنة على لون من ألوان

---

[1]- سورة يس: الآية 22.

[2]- سورة يس: الآية 20-22.

[3]- (تفسير الخازن) باب التأويل في معاني التنزيل،الخازن، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط 2، 1375 هـ- 1955 م، ج 6، ص ص، 6، 7.

الالتفات ينير في القرآن الكريم، بل لعله غير موجود إلا في الآية الكريمة كما يندر في كلام العرب إذ أن المرء لا يجتمع فيه الأمران التكلم والخطاب والإرسال والاستقبال، إذ الصيغتان في خطين متوازنين، كما أشار إلى ذلك حسن طبل في تعليقه على هذا بقوله: "والواقع أن الالتفات في هذه الصورة مما يندر تحققه في لغة الكلام، وذلك للتوازي أو التباين التام بين موقفي الخطاب والتكلم".[1]

ففي قوله تعالى: "وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون" انصراف من التكلم في: "وما لي لا أعبد الذي فطرني" إلى الخطاب في قوله: "وإليه ترجعون"، وذكر صاحب الإيضاح في حاشيته تعليقا حسنا لهذه الصورة فقال: «فقوله: "ترجعون" مكان "أرجع" التفات عند الجمهور والسكاكي معا، هذا والتحقيق أن المراد "ما لكم لا تعبدون" لكن لما عبر عنهم بطريق التكلم كان مقتضى ظاهر سياق الكلام إجراء باقي الكلام على ذلك الطريق فعدل عنه إلى طريق الخطاب فهو التفات على المذهبين... هذا وحاصل القول الثاني المذكور في التحقيق أن الضميرين للمخاطب فكان مقتضى الظاهر أن يقال: "ومالكم لا تعبدون" فعدل عن ذلك وأوقع ضمير التكلم موقع ضمير الخطاب، ثم عبر عن ضمير التكلم بضمير الخطاب، فقد اتحد المعبر عنه واختلفت العبارة، فعبر أولاً بطريق التكلم، ثم عبّر ثانيا بطريق الخطاب، وهذا التفات وهذا هو التحقيق لأن قوله: "وما لي لا أعبد" تعريض للمخاطبين لزجرهم على عدم الإيمان، لأنهم المقصودين بالذات من ذلك القول».[2]

المقصد الذي ترمي إليه هذه الآية شدة تحذير القوم والمصير المحتوم الذي إليه صائرون.

2- **الالتفات من الخطاب إلى التكلم:** ومن أمثلة هذه الصورة قوله تعالى: "يا قوم اتبعوا المرسلين".[3]

ففي الآية تصرف الكلام من الخطاب في قوله عز وجل: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ إلى التكلم في قوله: "وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون"

---

[1]- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: حسن طبل، ص 116.

[2]- الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني، شرح وتعليق و تنقيح :محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 2، د ت، ج1، ص87.

[3]- سورة يس: الآية 20، 22.

وكان مقتضى الظاهر أن يقول: "ومالكم لا تعبدون الذي فطركم" وإنما أورد هذا التلوين في الخطاب، وبعث رونقا في الكلام وصوغه على ما جرى في الكلام العربي. والمقصد البلاغي من هذا الالتفات ما أورده صاحب الكشاف بقوله: "ثم أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم، ولأنه أدخل في إحماض النصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لروحه".[1]

3- **الالتفات من الغائب إلى التكلم:** عند وصولنا إلى هذه الصورة وهي الالتفات من الغيبة إلى التكلم وقد استوقفتنا في ذلك آيات كثر سنتناول واحدة منها: قال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾.[2] وقد جاء في تفسير الشيخ الصابوني لهذه الآية قوله: "أي لا تعبدون إلهين فإن الإله الحق لا يتعدد (إنما هو إله واحد) أي إله واحد فرد صمد (فإيّايّ فارهبون) أي خافون دون سواي".[3]

ففي سياق الدعوة إلى التوحيد والهي عن الشرك أورده سبحانه بشيء من الالتفات فقد قال: "إنما هو إله واحد" بضمير الغائب، ثم عدل عن ذلك إلى المتكلم بقوله: "فإياي فارهبون" وأورده ذلك أبو السعود في تفسيره فقال: "التفات من الغيبة إلى التكلم لتربية المهابة وإلقاء الرهبة في القلوب".[4] وهذا هو المقصد من هذا السياق.

4- **الالتفات من التكلم إلى الغائب:** وعند التوقف على هذا النوع من صور الالتفات نجد في القرآن الكريم نماذج كثيرة نذكر منها: قوله تعالي: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.[5] ومما قاله فريد وجدي في تفسير هذه الآية: "قل يا محمد: يا أيها الناس إني رسول الله إليكم كافة، رسول الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحي ويميت

---

[1]- الكشاف: الزمخشري، ج 3، ص 319.

[2]- سورة النحل: الآية 51.

[3]- صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، دار الضياء، البليدة، الجزائر، ط 5، 1411 هـ، 1990 م، ج 2، ص 130.

[4]- إرشاد العقل السليم: أبو السعود، تخريج وتعليق و ضبط محمد صبحي حسن حلاق، دار الفكر، ط 1، بيروت، لبنان، 1420 هـ، 2001 م، ج 3، ص 353.

[5]- سورة الأعراف: الآية 158.

فآمنوا أيها الناس بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وما أنزل عليه وما أنزل على من تقدمه من المرسلين لعلكم تهتدون".[1] وشرح حسن طبل هذه السورة بقوله: "فلقد جرى الأسلوب على طريقة التكلم في إعلان الرسول ﷺ عن رسالته للناس (إني رسول الله إليكم) ثم تحول إلى طريق الغيبة –الاسم الظاهر – عند دعوتهم إلى الإيمان (فآمنوا بالله ورسوله)؛ إذ لو جرت على الآية الكريمة على نسق واحد لقيل (فآمنوا بالله وبي)".[2]

وما يؤكد ما ذهب إليه حسن طبل في شرحه هذه الصورة ما قاله الزمخشري: "فإن قلت: هلا قيل فآمنوا بالله وبي بعد قوله: (إني رسول الله إليكم)؟ قلت: عدل عن المضمر إلى الاسم الظاهر لتجرى عليه الصفات التي أجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة، وليعلم أن الذي وجب الإيمان به وإتباعه هو هذا الشخص المستقبل بأنه النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان أنا أو غيري، إظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه".[3] وذكر أبو السعود النكت من وراء هذا الالتفات فقال: "... الالتفات إلى الغيبة للمبالغة في إيجاب الامتثال بأمره".[4]

وذكر ابن الأثير الغرض من هذا اللون فحصره في مقصدين فقال: "فقدر أولا في صدر الآية (إني رسول الله إلى الناس) ثم أخرج كلامه من الخطاب إلى معرض الغيبة لغرضين: الأول منهما إجراء تلك الصفات عليه، والثاني الخروج من التعصب لنفسه".[5]

والغرض البلاغي من التكلم إلى الغائب في هذه الصورة تثبيت الصفات الموصوفة بالذات الموصوفة، كما يجري من أجل نفي التعصب لذات الرسول ﷺ، إذ ثمة رسل غيره، كما يكون للمبالغة من أجل الامتثال بأمره.

---

[1]– المصحف المفسر: فريد وجدي، دار الشعب، القاهرة،مصر، دط، دت، ص 218.

[2]– أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، حسن طبل، ص 109.

[3]– الكشاف: الزمخشري، ج 2، ص 123.

[4]– إرشاد العقل السليم: أبو السعود، ج 3، ص 253.

[5]– المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر: ابن الأثير، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دط، 1411هـ، 1990م، ج 2، ص 11.

5- الالتفات من الغائب إلى الخطاب: ومن هذه الصورة ما ورد في فاتحة الكتاب إذ يقول الحق تبارك وتعالى: "الحمد لله رب العالمين الرحمان الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم".[1]

ففي قوله: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" التفات من الغيبة إلى الخطاب، فقد سلف أن افتتح المولى عز شأنه الصورة بخطاب الغائب ثم عدل إلى الخطاب. ففي ذلك قال الزمخشري: "فإن قلت: لمَ عدل عن لفظ الغيبة، إلى لفظ الخطاب؟ قلت: هذا يسمى الالتفات في علم البيان. قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم...".[2]

وعلق أبو السعود في تفسيره على هذه الصورة فقال: "إياك نعبد وإياك نستعين" التفات من الغيبة إلى الخطاب وتلوين للنظم من باب إلى باب جار على نهج البلاغة في افتنان الكلام، ومسلك البراعة حسب ما يقضي المقام، كما أن التنقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في استجلاب النفوس واستمالة القلوب يقع من كل واحد من التكلم والخطاب والغائب إلى كل واحد من الآخرين".

فهذا هو المقصد العام من الالتفات. أما المقصد الخاص في هذا الشاهد فقد قال عنه: "ومما استأثر به هذا المقام الجليل من النكت الرائقة الدالة على أن تخصيص العبادة والاستعانة به –تعالى– لما أجرى عليه من النعوت الجليلة التي أوجبت اه سبحانه وتعالى، أكمل تميز وأتم ظهور بحيث تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور فاستدعى استعمال صيغة الخطاب". وهذا ما يقتضيه المقام.

وقد يختص هذا النوع البلاغي بالتنوع باعتبار المقام كتخصيص العبادة والاستعانة بالله كما في قوله: "إياك نعبد وإياك نستعين".[3]

---

[1]– سورة الفاتحة: الآية (1–6).

[2]– الكشاف: الزمخشري، ج 1، ص 62.

[3]– إرشاد العقل السليم: أبو السعود، ج 1، ص 42.

6- الالتفات من الخطاب إلى الغائب: وقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الأمثلة على هذه الصورة، وسوف نتناول بشيء من الدراسة والشرح بعضا منها: ومن أمثلته قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾.[1]

وقد دلت التفاسير على ما تضمنته هذه الآيات، فقد جاءت زبدة ذلك فيما اختصره الإمام الصابوني في تفسير ابن كثير إذ يقول: "لما بيّن تعالى أنه لا إله إلا هو، وأنه المستقبل بالخلق، شرع يبين أنه الرزاق لجميع خلقه، فذكر في مقام الامتنان أنه أباح لهم أن يأكلوا مما في الأرض... ونهاهم عن إتباع خطوات الشيطان...".[2]

وبعد أن بين لهم المولى نعيم امتنانه وفضله نهاهم من إتباع خطوات الشيطان واقتفائها فهو لهم عدو يزين لهم الفواحش، وأن يتقوا الله ما لا يعلمون.

وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾،[3] فقد نزلت في طائفة من اليهود فعن ابن عباس أنها نزلت في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام فقالوا: بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا. فأنزل الله هذه الآية.[4]

وقد أنزل الله هذه الآية مرصعة بلون من روائع كلام العرب ومن بلاغتهم ففي قوله تعالى: "إنما يأمركم بالسوء والفحشاء" سبقت بضمير الخطاب، ثم جاء بعدها قوله تعالى: "وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله" على ضمير الغائب وإن هذا لمن الالتفات كما قال الزمخشري: "لهم" الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ظلالهم".[5]

---

[1]- سورة البقرة: الآية 168-170.

[2]- مختصر تفسير ابن كثير: ابن كثير، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، دار الشهاب، البليدة، الجزائر، د ط، 1411 هـ، 1990 م، ج 1، ص 149.

[3]- سورة البقرة: الآية 170.

[4]- مختصر تفسير ابن كثير: ابن كثير، ج 1، ص 150.

[5]- الكشاف: الزمخشري، ج 1، 328.

وقد أشار صاحب الإرشاد إلى المقصد من هذا اللون البلاغي إذ يقول: "التفات إلى الغيبة تسجيلا بكمال ظلالهم وإيذانا بإيجاب تعداد ما ذكر من جناياتهن لصرف العذاب عنهم وتوجيهه إلى العقلاء، وتفصيل مساوئ أحوالهم".[1]

ويتبين من الآية الكريمة توضيح الاحتقار للذي يتبعون أهواءهم ولا يهتدون إلى سبيل الرشاد ويتشبثون بزيف عقائد آبائهم.

المطلب الثاني: الالتفات في العدد

إنّ المتكلم يستعمل صيغة المفرد إذا تكلم مع مخاطب واحد، وبصيغة المثنى مع مخاطبين اثنين، وبصيغة الجمع إذا تجاوز مخاطبين اثنين، لكن المتكلم أحيانا يخرج عن تلك المطابقة من أجل أن يعبر عن قصد معين وهذا ما يسمى بالالتفات في الأعداد وله ستة صور أيضا، وهي كالتالي:

4. الانتقال من خطاب الواحد إلى خطاب الاثنين:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾[2].الالتفات ظاهر في قوله "أجئتنا لتلفتنا"، حيث التفت من الضمير المفرد "أنت" إلى أنتما في قوله "لكما".

وفسرها صاحب صفوة التفاسير بقوله: ""قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا" أي أجئتنا لتصرفنا عن دين الآباء و الأجداد؟، "وتكون لكما الكبرياء في الأرض" أي يكون لك و لأخيك هارون العظمة و الملك والسلطان في أرض مصر، "وما نحن لكما بمؤمنين" أي ولسنا بمصدقين لكما فيما جئتنا به."[3]

[1]– إرشاد العقل السليم: أبو السعود، ج 1، ص 333.

[2] – سورة يونس: الآية 78

[3] – صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، مج 1، ص، 593-594.

2.الانتقال من خطاب الواحد إلى خطاب الجمع:

من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾[1]، فسرها الصابوني بقوله: «الخطاب للنبي ﷺ والحكم عام له ولأمته، وخص هو بالنداء ﷺ تعظيما له، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: يا فلان افعلوا اي افعل أنت وقومك، فهو نداء على سبيل التكريم والتعظيم، قال القرطبي: الخطاب للنبي ﷺ خوطب بلفظ الجماعة "طلقتم" تعظيما وتفخيما، والمعنى: يا أيها النبي ويا أيها المؤمنون إذا أردتم تطليق النساء».[2]

الخطاب في البداية ورد بصيغة المفرد في قوله: "يا أيها النبي "ثم انتقل إلى صيغة الجمع في قوله: "طلقتهم".

5. الانتقال من خطاب الاثنين إلى خطاب الواحد:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾،[3] فسرها صاحب صفوة التفاسير بقوله: «"قال فمن ربكما يا موسى" أي قال فرعون: ومن هذا الرب الذي تدعوني إليه يا موسى؟ فإني لا أعرفه؟ ولم يقل: من ربي لغاية عتوه ونهاية طغيانه، بل أضافه إلى موسى وهارون "من ربكما"».[4]

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾[5]، فسرها الصابوني بقوله: "أي لا تطيعاه فيكون سببا لإخراجكما من الجنة فتشقيان، وإنما اقتصر على شقائه مراعاة للفواصل ولاستلزام شقائه لشقائها قال ابن كثير: المعنى إياك أن تسعى في إخراجك من الجنة فتتعب وتشقى في طلب رزقك، فإنك ههنا في عيش رغيد، بلا كلفة ولا مشقة".[6]

---

[1] – سورة الطلاق: الآية 01.

[2] – صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، مج 3، ص، 398.

[3] – سورة طه: الآية 49

[4] – صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، مج 2، ص 237.

[5] – سورة طه: الآية 117

[6] – صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، مج 2، ص 249.

ففي قوله "فمن ربكما" الخطاب ورد بصيغة الاثنين ثم انتقل إلى صيغة المفرد في قوله: "يا موسى" وكذلك في قوله: "فلا يخرجنكما"، الحديث جارا بصيغة الاثنين، ثم انتقل إلى صيغة المفرد في قوله: "فتشقى".[1]

4.الانتقال من خطاب الاثنين إلى خطاب الجمع:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، فسرها الصابوني بقوله: «"وأوحيا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا" أي اتخذا لهم بيوتا للصلاة والعبادة، "واجعلوا بيوتكم قبلة" أي اجعلوها مصلى تصلون فيها عند الخوف، قال ابن عباس، كانوا خائفين فأُمِروا أن يصلوا في بيوتهم، "وأقيموا الصلاة" أي أدوا الصلاة المفروضة في أوقاتها، بشروطها وأركانها على الوجه الأكمل، "وبشر المؤمنين" أي بشر يا موسى يا أتباعك المؤمنين بالنصر والغلبة على عدوهم».[3]

الخطاب هنا ورد بصيغة الاثنين في قوله: "وأوحينا إلى موسى وأخيه"، ثم انتقل إلى صيغة الجمع في قوله: "واجعلوا بيوتكم".

5. الانتقال من خطاب الجمع إلى خطاب المفرد:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4]، ففي هذه الآية الخطاب جاري بصيغة المفرد بعد أن خاطب الجميع في قوله: "واجعلوا بيوتكم".

6. الانتقال من خطاب الجمع إلى خطاب التثنية:

«ومن ذلك قوله تعالى:﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا﴾[5]، فسرها صاحب صفوة التفاسير بقوله: "أي إن قدرتم أن تخرجوا من جوانب السماوات والأرض هاربين من الله،

---

[1] – البرهان في علوم القران: الزركشي، ج 3، ص 334.

[2] – سورة يونس: الآية 87

[3] – صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، مج 1، ص 595.

[4] – سورة يونس: الآية 87

[5] – سورة الرحمن: الآية 33

فارين من قضائه فاخرجوا منها، وخلصوا أنفسكم من عقابه، والأمر للتعجيز. "إلى قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[1]. أي فبأي نعم الله الجليلة تكذبان أيها الإنس والجان»[2]

والالتفات يتضمن لون آخر من العدول لم يدرجوه ضمن الأقسام وهو الالتفات المعجمي.

المطلب الثالث: الالتفات في الأفعال

كما يكون الالتفات في الضمائر يكون أيضا في الأفعال بين الماضي والمضارع والأمر، وللأفعالالأثر الكبير في تلوين الأساليب وتنويعها وإثارة فعاليتها تحدثه عن حركية في المعاني بفعل النشاط التي تبثه في العبارات.

وقد بيّن ابن الأثير (558 هـ): مكان هذا اللون من ألوان الالتفات، إذا يقول: "اعلم أيها المتوحش لمعرفة علم البيان إن العدول عن صيغة من الألفاظإلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية، اقتضت ذلك وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطلع على أسراره، وفتش عن دفائنها، ولا تجد ذلك في كل كلام، فإنه من أشكل ضروب علم البيان، وأدقها فهما، وأغمضها طريقا".[3]

والالتفات في الأفعال يكون:

1. **الانتقال من الفعل الماضي إلى فعل الأمر**: كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[4]. ولو جاء به على أسلوب واحد في الآية لقوله: "أمر ربي بالقسط، وأمركمأن تقيموا وجوهكم" فعدل عن ذلك إلى فعل الأمر للعناية في توكيده في نفوسهم فإن الصلاة من أوكد فرائض الله على عباده.وهذا الأسلوب في نظر البلاغيين لا يتوخاه إلا العارف برموز البلاغة والفصاحة

[1] – سورة الرحمن: الآية 34

[2] – صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، مج 3، ص 297.

[3] – المثل السائر: ابن الأثير، ج 2، ص 180.

[4] – سورة الأعراف: الآية 29

الذي استطاع أن يطلع على أسرارها ويفتش في دفائنها، وهو من دقيق علم البلاغة.[1]والسر البلاغي هنا هو حث المسلمين على التوجه لله بالعبادة الصادقة.

الانتقال من الفعل المضارع إلى الفعل الأمر: يكون بالتحول في صيغة الفعل المضارع الدال على الحال أو الاستقبال ثم يلتفت السياق ويتحول إلىالأمر، كقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهَ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[2]، حيث التفت عن الحديث بصيغة المضارع "إني اشهد الله" إلى صيغة الأمر "واشهدوا إني بريء" وهنا يقتضي سياق المسويات بين الفعلين لذلك عدل عن اللفظ الأول؛ لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الأمر وهذا النوع يكون لسر بلاغي هو لغرض التفخيم والتعظيم في البلاغة العربية.[3]

2. **الانتقال من الفعل الماضي إلى الفعل المضارع:** يقول ابن هشام (ت 558 هـ): "الأخبار بالفعل المضارع عن الماضي اعلم أن الفعل المضارع إذاأتى به في حال الإخبار عن وجود الفعل كان ذلك ابلغ من الإخبار في الفعل الماضي".[4]

فالفعل المضارع عندما يعبر به حدثا ماضيا فهو حكاية حال ماضية. كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾[5]، والالتفات في الآية بين الفعل "أرسل" الدال على الماضي، وبين الفعل "فتثير" الدال على المضارع، والسر بالبلاغي يكمل في استحضار الصورة البديعية الدالة على قدرة الله وكأنها مشاهدة؛ لان التعبير بالفعل المضارع عن الماضي يدل عن الاستمرار والتجديد واستحضار الصورة وكأنها مشاهدة.[6]

---

[1] – المثل السائر: ابن الأثير، ج 2، ص 180.

[2] – سورة هود: الآية 53-54.

[3] – البرهان في علوم القران: ج 3، ص 336.

[4] – الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ضياء الدين بن الأثير، مطبعة المجتمع العلمي، د ط، 1375هـ، ص 102.

[5] – سورة فاطر: الآية 09.

[6] – الكشاف: الزمخشري، ج 3، ص 269.

3. **الانتقال من الفعل المضارع إلى الفعل الماضي:** يرى ابن الأثير (ت 558 هـ) أن هذا الضرب ابلغ من الضرب الأول –يقصد من الماضي إلى المضارع– فيقول: "اعلم الفعل المستقبل إذاأتى به في حال الإخبار عن وجود الفعل كان ذلك ابلغ من الأخبار في الفعل الماضي، وذلك لان الفعل المستقبل يوضع حال الحال الذي يقع فيها، ويستحضر تلك حتى كان السامع يشاهدها وليس كذلك الفعل الماضي".[1]

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾[2]. والالتفات في الآية هنا في الفعل المضارع "ينفخ" وفي الفعل الماضي "ففزعا" دون يفزع. ويعلل الزمخشري هنا قائلا: " فان قلت لم قيل؟ (ففزع) (دون يفزع)؟ قلت: لنكتة وهي الإشعار لتحقق الفزع وثبوته، وانه كائن لا محالة واقع على أهل السموات والأرض لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به".[3]

يعتبر الالتفات فن من فنون البلاغة العربية، حيث ينتقل الالتفات في الأفعال من الماضيإلى المضارع، ومن المضارع إلى الماضي، ومن المضارع إلىالأمر، ومن الماضي إلىالأمر، فأسراره في الأفعال كثيرة ومتنوعة، وما ذكرناه يعد بعضا منها.

[1] – المثل السائر، ابن الأثير، ج 2، ص 181.

[2] – سورة النمل: الآية 78.

[3] – الكشاف: الزمخشري، ج 3، ص 270.

المبحث الرابع: أهداف الالتفات

أ. **أهداف عامة:** للالتفات فوائد عامة وخاصة؛ فمن العامة: التفنن والانتقال من أسلوبإلىآخر كما في ذلك تنشيط السامع، واستجلاب صفائه، واتساع مجال الكلام، وفي هذا يقول الزمخشري: "إن ورود الالتفات في الكلام إنما يكون إيقاظا لسامع عن الغفلة، وتطريبا له بنقله من خطاب إلى خطاب آخر، فان السامع ربما مل من أسلوب فينقله إلىأسلوبآخر، تنشيطا له في الاستماع، واستمالة له في الإصغاءإلى ما يقوله".[1]

ب. **أهداف خاصة:** أما الخاصة فتختلف باختلاف مجاله ومواقع الكلام فيه، ومنها:

1. **تعظيم شأن المخاطب:** " كما جاء في قوله تعالى:﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[2] ، فان العبد إذا افتتح حمد مولاه بقوله: "الحمد لله" الدال على اختصاصه بالحمد، وإذا انتقل إلى قوله: "رب العالمين" الدال على ربوبيته لجميعهم قوي تحركه، فإذا قال: "الرحمان الرحيم" الدال على انه منعم بأنواع النعم جليلها وحقريها، وإذا وصل لـ "مالك يوم الدين وإياك نعبد" وهو خاتمة الصفات الدالة على أنه مالك الأمر".

2. **التنبيه على ما حق الكلام أن يكون واردا عليه:** كقوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3]، أصل الكلام: "ومالكم لا تعبدون الذي فطركم" ولكنه ابرز الكلام من اجل النصح، ثم قال: "إليه ترجعون" للدلالة على ما كان من أصل الكلام.

3. **أن يكون الغرض به التتميم بمعنى مقصود للمتكلم:** كقوله تعالى: ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ(5) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[4]، أصل الكلام "أنا مرسلين رحمة منا".

4. **قصد المبالغة:** كقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾[5]، كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح، فائدة المبالغة.

---

[1] – الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: العلوي اليمني، ص 72.

[2] – سورة الفاتحة: الآية 01-04.

[3] – سورة يس: الآية 28.

[4] – سورة الدخان: الآية 04-06.

[5] – سورة يونس: الآية 22.

5. **قصد الدلالة على الاختصاص:** كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾[1]، فانه لم كان سوق السحاب الى البلد الميت وإيحاءالأرض بعد موتها دالا على القدرة الباهرة، وقوله "سقنا" و"أحيينا" دلالة على الاختصاص.

6. **قصد الاهتمام:** كقوله تعالى:﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ(11)فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[2]، الالتفات هنا جاء للدلالة على الاهتمام بالإخبار على نفسه فانه سبحانه وتعالى جعل الكواكب في السماء الدنيا للزينة والحفظ.[3]

7. **قصد التوبيخ:** لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾[4]، الالتفات هنا جاء للدلالة على إن القائل مثل قولهم ينبغي أن يكون موبخا ومنكرا عليه فهدفه إذا توبيخ المفترين على الله لهذا قال: "لقد جئتم".[5]

---

[1] – سورة فاطر: الآية 09.

[2] – سورة فصلت: الآية 11-12

[3] – البرهان في علوم القران: الزركشي، ج 3، ص ص ص، 326-328-329.

[4] – سورة مريم: الآية 88-89

[5] – المرجع نفسه: ص ص، 328-330.

الفصل التطبيقي: أسلوب الالتفات في سورة النساء

المبحث الأول: التعريف بسورة النساء

المطلب الأول: تقديم السورة

المطلب الثاني: سبب نزول السورة

المطلب الثالث: سبب التسمية

المطلب الرابع: ترتيب السورة

المطلب الخامس: أهداف السورة

المبحث الثاني: أسلوب الالتفات في سورة النساء

المطلب الأول: الالتفات في الضمائر

1-الالتفات من التكلم إلى الغيبة

2-الالتفات من الغيبة إلى التكلم

3-الالتفات من الخطاب إلى الغيبة

4-الالتفات من الغيبة إلى الخطاب

المطلب الثاني: الالتفات في الأعداد

1-الالتفات بين الإفراد والتثنية

2-الالتفات بين الإفراد والجمع

الصيغ

الالتفات بين صيغ الأفعال

جدول تفصيلي لصور الالتفات

المبحث الأول: التعريف بسورة النساء

المطلب الأول: تقديم السورة

لكل سورة من القران الكريم شخصيتها الخاصة، وبصمتها التي تميزها عن غيرها، ومحورها الذي تلتقي عنده جميع موضوعاتها، فلو وقفنا على سورة النساء نجدها تعمل على محو الجاهلية بكل تصوراتها وترسي في المقابل المنهج الرباني الذي يكشف عن مساوئ الجاهلية، ثم إنها تعمل على التعريف بأعداء هذا المجتمع سوء كانوا من أهل الكتاب، أو كانوا من المنافقين فتعمل السورة على كشف مخططاتهم ومكائدهم، ونستطيع القول بأن محور السورة بناء الفرد والأسرة والمجتمع وفق المنهج الإسلامي ونبذ المجتمع الجاهلي بتصوراته الخاطئة.[1]

المطلب الثاني: سبب نزول السورة

بعد هجرة النبي ﷺ وإقامته الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، أخذ أعداء الله وأصحاب المنهج الجاهلي يخططون للإحاطة بالدولة الإسلامية، ولكن كان أمر الدولة الإسلامية في كل يوم يزداد رفعة، ولقد كان بداية نزول سورة النساء في السنة الثالثة للهجرة وامتد نزولها إلى السنة الثالثة للهجرة، وخلال هذه السنوات كانت الدولة الإسلامية كل يوم في صعود وانتصار.[2]

وكان ابتداء نزولها بالمدينة، لما صح عن عائشة أنها قالت: "مانزلت سورة البقرة وسورة النساء إلا وأنا عنده" واتفق العلماء أن سورة النساء نزلت بعد البقرة فتعين أن يكون نزولها متأخرا على الهجرة بمدة طويلة. والجمهور قالوا: نزلت بعد آل عمران ومعلوم أن آل عمران نزلت في خلال سنة ثلث أي بعد وقعت أحد، فيتعين أن تكون سورة النساء نزلت بعدها.[3]

---

[1]– في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشرق، ط 9، 1980، مج 1 ، ص 555.

[2]– المرجع نفسه، مج 1، ص 554.

[3]– تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور، دار سخنون للنشر والتوزيع، تونس، د ط، 1984، ص 211.

المطلب الثالث: سبب التسمية

سميت سورة النساء بكثرة ما ورد فيها من الأحكام التي تتعلق بها، بدرجة لا توجد في غيرها من السور ولذلك أطلق عليها: "سورة النساء الكبرى" في مقابلة "سورة النساء الصغرى" التي عرفت في القران الكريم "بسورة الطلاق"[1]

ووجه تسميته بإضافةإلى النساء أنها افتتحت بأحكام صلة الرحم ثم بأحكام تخص النساء، وان فيها أحكام كثيرة من أحكام النساء: الأزواج، والبنات وختمهبأحكام تخص النساء.[2]

المطلب الرابع: ترتيب السورة

سورة النساء هي السورة الرابعة من القران الكريم وهي أطول سور القران بعد سورة البقرة وترتيبها في النزول بعد سورة الممتحنة.[3] وعدد آياتها 176 أية.

وقد اجمع العلماء على مدنيّة سورة النساء واستثنى بعضهم قوله تعالى: "سورة النساء: 58" والحق كما قال الدكتور فضل عباس أنها مدنية وذلك بالرجوع إلى ضوابط المكي والمدني حيث انم انزل بعد الهجرة فهو مدني، وان ان نزل في مكة.[4]

والدليل على مدنية سور النساء مارواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قال: "لقد نزل على محمد بمكة إني لجارية العب: بل الساعة موعدهم والنساء إلا و أنا عنده"[5]

---

[1]– صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، دار القران الكريم، بيروت، لبنان، ط 4، 1402 هـ، 1981 م، ص 257.

[2]– تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور، ص 211.

[3]– التفسير الكبير الفخر الرازي، دار الكتب العلمية، طهران، ط 2، د ت، ج 9، ص 157.

[4]– الإتقان في علم القران: جلال الدين السيوطي، تج: احمد بن على، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج دار الحديث، 2004، ص 211.

[5]– إتقان البرهان في علوم القران: فضل عباس، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط 1، 1997، ج 1، ص 382.

أي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث بدأت عائشة رضي الله عنها حياتها مع النبي ﷺ في شوال من السنة الأولى للهجرة.[1]

المطلب الخامس: أهداف السورة

1. دعت السورة إلى المحافظة على كرامة المرأة وإعطائها حقوقها التي فرضها الله تعالى، كالمهر، والميراث ودعت إلى الحفاظ على المجتمع من الفاحشة.
2. تعرضت بالتفصيل لأحكام المواريث، حيث حددت نصيب كل فرد، على الوجه الدقيق الذي يحقق العدالة والمساواة.
3. تناولت تنظيم العلاقات الزوجية وتبين حق الزوج على الزوجة وحق الزوجة على الزوج، وضعت طرق العلاج في حال الخلاف والشقاق.
4. انطلقت من الحديث عن دائرة الأسرة إلى دائرة المجتمع وما يلزمه.
5. انطلقت إلى الاستعداد للأمن الخارجي من اجل الحفاظ على الأمة واستقرارها، فأمرتبأخذ العدة والاستعداد لمكافحة الأعداء.
6. وضعت بعض قواعد المعاملات الدولية بين المسلمين والدول الأخرى في السلم والحرب.
7. كشف المنافقين على حقيقتهم وحذرت من أخطارهم ومكائدهم.
8. نبهت إلى خطر أهل الكتاب وبخاصة اليهود، وختمت بيان ضلالات النصارى في أمر المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.[2]

[1]- صحيح البخاري بشرح ابن حجر العسقلاني، كتاب القران، باب تأليف القران، حديث 4993-م 9، ص 45.

[2]- في ظلال القران: سيد قطب، مج 1، ص 565.

المبحث الثاني: أسلوب الالتفات في سورة النساء

يعد أسلوب الالتفات أكثر الأساليب شيوعا في البلاغة العربية، ولهذا سنحاول استخراج صوره التي تحققت في "سورة النساء" وسنورد في هذا البحث استجلاء دورها البياني المعجز في لغة القرآن الكريم.

المطلب الأول: الالتفات في الضمائر

أشرنا فيما سبق إلى أن الالتفات لا ينحصر في مجال الضمائر، كما انحصر على أيدي الكثير من البلاغيين، في صورة التحول بين أنواع الضمائر الثلاثة، بل إنه يشمل أيضا التحول عن الإضمار إلى الاظهار، والتحول عن تأنيث الضمير إلى تذكيره، فالالتفات في مجال الضمائر يتحقق في صورة المخالفة التعبيرية التي سنتطرق إليها وهي كالتالي:[1]

بعد تتبعنا لسورة النساء واستخلاصنا لمجموع صيغ الالتفات لاحظنا غياب بعض هذه الصيغ: (الالتفات من التكلم إلى الخطاب،الالتفات من الخطاب إلى التكلم).

3-الالتفات من التكلم إلى الغيبة:

زخر القرآن الكريم بهذه الصورة من صور الالتفات من ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب:

أ-قول الله تعالى ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾.[2] الالتفات في هذه الآية الكريمة من صيغة التكلم في قوله تعالى "جعلنا" إلى صيغة الغيبة في قوله تعالى: "إن الله كان على كل شهيدا" في لفظ الجلالة. والداعي لهذا الالتفات إلى لفظ الجلالة ما تذكره كتب التفسير من أن هذا المقام من الغيبيات التي لا يعرف كُنْهَهَا إلا الله وحده وهو المجازي عليه جزاء وفاقا.

قال ابن جرير الطبري: "يعني بذلك جل ثناؤه فآتوا الذين عقدت أيمانهم نصيبهم من النصرة والنصيحة والرأي فإن الله شاهد على ما تفعلون من ذلك وعلى غيره من أفعالكم مراع لكل ذلك حافظ حتى يجازي جميعكم على جميع ذلك جزاؤه، أما المحسن منكم المتبع أمري

[1]- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: حسن طبل، ص 122.

[2]- سورة النساء: الآية 33.

وطاعتي فالحسنى وأما المسيء منكم المحالف أمري ونهى فبالسوأى".[1] فأوفوا بالعهد بحسب ذلك مراقبة ورهبة.[2] وفي هذا تهديد للعاصي ووعد للمطيع وتنبيه على أنه شهيد على المعاقبة بينكم والصلة فأوفوا بالعهد.[3] لأنه سبحانه عالم بجميع الأشياء جليها وخفيها.[4]

وهكذا نرى أن هذا المقام لا يصلح له إلا لفظ الجلالة الاسم الجامع لكل أسماء الله وصفاته ولهذا تغير الأسلوب للغيبة، كان هذا الالتفات البليغ.

ب-ومنه قول الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (41) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾.[5] الالتفات في قوله تعالى: "ولا يكتمون الله حديثا" في لفظ الجلالة "الله" الذي هو من قبيل الغيبة وذلك بعد صيغة التكلم في قوله تعالى "جئنا" وكان مقتضى السياق -ولا يكتموننا- ولكن يذكرهم سبحانه أنه: "لا يقدرون على كتمانه لأن جوارحهم تشهد عليهم".[6] ومن يستطيع هذا إلا الله حين يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يعملون، فهنالك يودون أنهم كانوا ترابا ولم يكتموا الله حديثا.[7] وهذا موقف عظيم يخوفهم الله به ولكنهم لا يعقلون، ولفظ الجلالة يزيدهم تخويفا ولهذا جاء الالتفات إليه.

جـ- ومنه قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾.[8] فالالتفات في في قوله تعالى: "أمر الله" بعد صيغة التكلم في قوله تعالى: "لعنا" ولهذا كان مقتضى السياق

---

[1]- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب: لفخر الرازي، ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1981، ج 10، ص 86.

[2]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: بن عطية الأندلسي المحاربي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1422 هـ، ج 2، ص 48.

[3]- إرشاد العقل السليم: أبو السعود، ج 1، ص 517

[4]- الكشاف: الزمخشري، ج 1، ص 523.

[5]- سورة النساء: الآية 41، 42.

[6]- إرشاد العقل السليم: أبو السعود، ج 1، ص 533.

[7]- التفسير الكبير: لفخر الرازي، ج 1، ص ص 106، 107.

[8]- سورة النساء: الآية 47.

-كان أمرنا- بدل: "وكان أمر الله" ولكنه سبحانه (وضع الاسم الجليل موضع الضمير بطريق الالتفات لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية ما في الاعتراض من الاستقلال).[1] وظهور لفظ الجلالة يؤكد للجميع أنه لا راد لحكمه ولا ناقض لأمره كما قال ابن عباس على معنى أنه لا يتعذر عليه شيء يريد أن يفعله.[2]

د- ومنه قول المولى عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.[3]

الالتفات في قوله تعالى: "إن الله كان عزيزا حكيما" بأسلوب الغائب عنه سبحانه وذلك بعد قوله تعالى في أول الآية: "بآياتنا" وكذا "بدلناهم" بنون العظمة وهو ضمير المتكلم فكان الالتفات منها إلى لفظ الجلالة.

فمناسبة النون مع الآيات لأنه (يدخل فيها كل ما يدل على ذات الله وصفاته وأسمائه والملائكة والكتب والرسل، وكفرهم بالآيات ليس يكون بالجحد لكن بوجوه، منها أن ينكروا كونها آيات، ومنها أن يغفلوا عنها فلا ينظروا فيها، ومن أن ينكروا الشكوك والشبهات فيها، ومنها أن ينكروها مع العلم بها على سبيل العناد والحسد).[4] ولهذا ناسب ظهور نون العظمة اتجاه هذا الكفر ولهذا أيضا ظهر لفظ الجلالة في ذلك التنزيل العظيم في موضع الانتقام منهم جزاء كفرهم وإصرارهم عليه ليعلمهم هذا اللفظ العظيم (أن الله لا يغالبه مغالب إلا غلبة الله ولا يفعل شيئا إلا بحكمة وإصابة لا إله هو تبارك وتعالى).[5] ولا يمتنع عليه ما يريد.[6] ولا ولا يمانعه أحد (حكيما) يعاقب من يعاقبه على وفق حكمته والجملة تعليل لما قبلها من الاصلاء والتبديل وإظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتهويل الأمر وتربية المهابة وتعليل الحكم فإن عنوان الألوهية مناط لجميع صفات كماله تعالى.[7]

---

[1]- إرشاد العقل السليم: أبو السعود، ج 1، ص 533.

[2]- التفسير الكبير: لفخر الرازي، ج 10، ص 123.

[3]- سورة النساء الآية 56.

[4]- التفسير الكبير: لفخر الرازي، ج 10، ص 134.

[5]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: بن عطية الأندلسي المحاربي، ج 2، ص 69

[6]- الكشاف: الزمخشري، ج 1، ص 534.

[7]- إرشاد العقل السليم: أبو السعود، ج 1، ص 539.

هـ- ومنه قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.[1]

موضع الالتفات في هذه الآية المباركة في قول الله تعالى: "بإذن الله" بصيغة الغيبة في لفظ الجلالة وذلك بعد قول الحق عز وجل "وما أرسلناك" بصيغة التكلم، وكان مقتضى الظاهر –إلا ليطاع بإذننا– تمشيا مع الضمير السابق عليه.

والحكمة في ظهور لفظ الجلالة في هذا المقام هي: تعليق طاعة الله بطاعة رسوله أي ما أرسلنا من رسول بشيء من الاشياء إلا لأجل الطاعة بإذن الله وأمره قال ابن عباس أو بعلمه وتوفيقه وإرشاده.[2] وإنما هذا من الله توبيخ للمحتكمين من المنافقين الذين كانوا يزعمون أنهم يؤمنون بما أنزل إلى النبي ﷺ فيما اختصموا فيه إلى الطاغوت صدودا عن رسول الله ﷺ.[3] وأمره المرسل إليهم بأن يطيعوه ويتبعوه لأنه مؤد عنه تعالى فطاعته طاعة الله تعالى ومعصيته معصيته تعالى.[4] وقد يسَّر الله أسباب طاعته.[5] لأنه يحمل من الدين ما ما يتفق مع الفطرة السليمة لخلقة الله سبحانه وتعالى في ولد آدم.

ولا يخفى بعد هذا ما في العدول عن الضمير إلى الاسم الجليل،[6] من أغراض بلاغية بلاغية في هذا الالتفات.

و- ومنه في هذه السورة المباركة قول الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.[7]

---

[1]- سورة النساء: الآية 64.

[2]- تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الأندلسي، دار الكتب العلمية، ط 1، ج 3، بيروت، 1413 هـ- 1993 م، ص 282.

[3]- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد الطبري أبو جعفر، ط 1، تح: أحمد محمد شاكر، دار التربية والتراث، مكة، 2000، ج 4، ص 99.

[4]- إرشاد العقل السليم: أبو السعود، ج 1، ص 544.

[5]- التفسير الكبير: لفخر الرازي، ج 10، ص 161.

[6]- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني: محمود شكري الألوسي البغدادي شهاب الدين، ج 2، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1415 هـ، ص 70

[7]- سورة النساء: الآية 79.

موضع الالتفات في هذه الآية في قوله تعالى: "وكفى بالله شهيدا" بصيغة الغيبة عنه سبحانه في لفظ الجلالة وذلك بعد صيغة التكلم في قوله تعالى: "وارسلناك" ولو سار الأسلوب على نفس النمط لجاءت الآية –وأرسلناك للناس رسولا وكفى بنا شهداء– ولكنه سبحانه وتعالى أثر ظهور لفظ الجلالة عودا على ذي بدء لمناسبة المقام حيث أن الآية الكريمة جاءت ردا على مزاعم اليهود والمنافقين وتشاؤمهم ودعاهم إلى الإيمان فكفروا أمسك عنهم بعض الامساك فقالوا ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم هذا الرجل وأصحابه.[1] فقال الله تعالى في آية سابقة واصفا مزاعمهم الباطلة ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾.[2] ففي هذه الآية مدار البحث جلاء للحقيقة ورد لافتراءاتهم وتصحيح للمفاهيم الخاطئة فقال جل ثناؤه: "ما اصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك"(قال قتادة: عقوبة يا ابن آدم بذنبك قال وذكر لنا أن النبي ﷺ كان يقول: لا يصيبك رجلا خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفوا الله عنه أكثر).[3] وهذه الأمور ينكرها اليهود والمنافقون ولكن فلينكروا ما أرادوا ما دام الله شهيدا على صدقك وعلى رسالتك ينصب المعجزات التي من جملتها هذا النص والوحي الصادق والالتفات لتربية المهابة وتقوية الشهادة.[4] ولا ينبغي لمن كان الله شاهده إلا أن يطاع.[5]

ز– ومنه قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾.[6]

الالتفات في هذه الآية المباركة في قوله تعالى: "بما أراك الله" في لفظ الجلالة والغيبة التي يحملها ذلك بعد صيغة التكلم في قوله تعالى: "إنا أنزلنا" ولو خرج الكلام على صيغة واحدة لجاء –بما أريناك– –بدل أراك الله– ولكنه سبحانه أثر صيغة الغيبة لحاجة المعنى

---

[1]– إرشاد العقل السليم: أبو السعود، ج 1، ص 553.

[2]– سورة النساء: الآية 72.

[3]– جامع البيان عن تأويل آيات القرآن: الطبري، ج 4، ص 111.

[4]– إرشاد العقل السليم: أبو السعود، ج 1، ص 555.

[5]– تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الأندلسي،، ج 3، ص 302.

[6]– سورة النساء: الآية 105.

الملحة في طلب لفظ الجلالة المناسب بلاغيا للمقام، ويتضح هذا لمعرفة سبب نزول الآية المباركة جاء في كتاب الدر المنثور للسيوطي فيما رواه عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «"إن نفرا من الأنصار غزوا مع النبي ﷺ في بعض غزواته، فسرق الدرع لأحدهم، فأظن بها رجلا من الأنصار، فأتى صاحب الدرع رسول الله ﷺ فقال: " إنّ طعمة بن أبيرق سرق درعي، فلما رأى السارق ذلك عمد إليها فألقاها في بيت رجل بريء وقال لنفر من عشيرته: إني غيبت الدرع وألقيتها في بيت فلان وستوجد عنده، فانطلقوا إلى النبي ﷺ فقالوا يا نبي الله إن صاحبنا بريء، وإن سارق الدرع فلان قد أحطنا بذلك علما فاعذر صاحبنا على رأس الناس، وجادل عنه فإنه إلا يعصمه الله بك يهلك، فقام رسول الله ﷺ فبرأه وعذره على رؤس الناس فأنزل الله "إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله"».[1] ومن هذا يتضح أن ظهور لفظ الجلالة في هذا المقام جاء لعدة أغراض بلاغية منها: تعظيم الحكم الذي سيحكم به النبي لأنه من جهته سبحانه وتعالى ووجوب انتظار الوحي لأنه لا يخرج عن كونه بشرا قد تخفى عليه كثير من الحقائق فيقع منه الخطأ وقد عصمه الله عن هذا بقوله: "بما أراك الله" وهو عالم السر وأخفى.

ح- ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾.[2] الالتفات في قوله تعالى: "أن تتقوا الله" في لفظ الجلالة بعد قوله تعالى "وصينا".

ط- ومنه في هذه السورة المباركة قول الله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾.[3]

الالتفات في قوله تعالى: ""سبيل الله" بصيغة الغيبة في لفظ الجلالة وذلك بعد صيغة التكلم في قوله تعالى: "حرمنا" وكان مقتضى السياق -وبصدهم عن سبيلنا- تمشيا مع الضمير السابق.

---

[1]- تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الأندلسي، ج 3، ص 343.

[2]- سورة النساء: الآية 131.

[3]- سورة النساء: الآية 160.

ملا شرح فضائح اليهود وقبائح الكافرين وأفعالهم ذكر عقيبه تشديده تعالى عليهم في الدنيا وفي الآخرة، أما تشديده عليهم في الدنيا فهو إنه تعالى حرم عليهم طيبات كانت محللة لهم قبل ذلك...، وذلك لظلمهم للخلق، والإعراض عن الدين الحق.[1] وصدهم في ذاتهم أو صدهم غيرهم.[2] عن السبيل التي هي موصلة إلى الحق تبارك وتعالى (ودينه وسبيله التي شرحها لعباده، وكان صدهم عن سبيل الله بقولهم على الله الباطل وادعائهم أن ذلك عن الله وتبديلهم كتاب الله وتحريف معانيه عن وجوهه، وكان من عظيم ذلك جحودهم نبوة نبينا محمد ﷺ وتركهم بيان ما قد علموا من أمره لمن جهل أمره من الناس).[3] ولكنهم الذين هادوا (ولعل ذكرهم بهذا العنوان للإيذان بكمال عِظم ظلمهم بتذكير وقوعه بعدما هادوا من عبادة العجل).[4] وهيهات هيهات تصحو نفوسهم التي ران عليها الكفر فشدد عليهم المولى عقوبتهم في الدنيا والآخر وظهور لفظ الجلالة في مقام الشدة يزيد المعنى قوة ويعلل عظم ذنبهم الذي ارتكبوه مع الإله الحي القيوم.

ي- ومنه قول الله تعالى: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾.[5] الالتفات في قوله تعالى: "وكلم الله موسى تكليما" بصيغة الغيبة وذلك بعد قوله تعالى: "قد قصصناهم" بصيغة التكلم وكانت مسايرة السياق تقتضي – وكلمنا موسى- بدل قوله تعالى: "وكلم الله".

والالتفات إلى لفظ الجلالة (للإخبار بخاصة موسى، وأن الله تعالى شرفه بكلامه).[6] وأورد الطبري خبرا عن ابن وكيع: إن الله جل ثناؤه لما كلم موسى كلمه باللسن كلها قبل كلامه يعني كلام موسى فجعل يقول يا رب لا افهم حتى كلمة بلسانه آخر الألسنة فقال يا رب هكذا كلامك قال لا ولو سمعت كلامي على وجهه لم تك شيئا قال ابن وكيع قال أبو أسامة وزادني أبو بكر الصغاني في هذا الحديث أن موسى قال يا رب هل خلقك شيء يشبه

---

[1]- التفسير الكبير لفخر الدين الرازي: ج 11، ص 105.

[2]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: بن عطية الأندلسي المحاربي، ج 2، ص 135.

[3]- جامع البيان عن تأويل آيات القرآن: الطبري، ج 4، ص 17.

[4]- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود، ج 1، ص 605.

[5]- سورة النساء: الآية 164.

[6]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: بن عطية الأندلسي المحاربي، ج 2، ص 137.

كلامك قال لا وأقرب خلقي شبها بكلامي أشد ما تسمع الناس من الصواعق.[1] ولعظم هذه الآية وعلو شأنها ظهر لفظ الجلالة إيذانا بذلك وهي كما مر من الأمور المتناهية في جلالها وعظمتها وتشريفا لموسى عليه السلام جعل المولى العظيم المعتال هذه الحادثة الغريبة حكاية تروى للناس جيلا بعد جيل بأسلوب القصة التي يتناسب مع صيغة الغيبة الذي (ينبأ عنه تغيير الأسلوب بالالتفات).[2]

4-الالتفات من الغيبة إلى التكلم:

أ- ومما جاء من الالتفات من الغيبة الى التكلم في سورة النساء المباركة قول الله تعالى:﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ .[3]

الالتفات في هذه الآية من الغيبة في قول تعالى: "ما أتاهم الله" في لفظ الجلالة إلى ضمير التكلم في اعتدنا ولو سار السياق كسابقه لجاءت الآية –وأعد الله للكافرين– ولكن القرآن التفت إلى ضمير التكلم بغرض (التهويل والتعظيم لأن عذاب العظيم عظيم وغضب الحليم وخيم والجملة اعتراض تذييل مقرر لما قبلها).[4]لأنها (نزلت في شأن اليهود الذين كتموا صفة رسول الله ﷺ)، وكانوا يأمرون الأنصار بالبخل بقولهم (لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون).فقد استحقوا من الله هذا العذاب المهين المعد من قبله سبحانه (وقد عابهم من الله بكتمان نعمة الله وما أتاهم من فضل الغنى والتفاخر إلى الناس).[5]

وعن النبي ﷺ"إذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن ترى نعمته على عبده".[6] ولهذا تغير الأسلوب إلى صيغة التكلم إشعارا لعظم هذا العذاب المعد لعظم هؤلاء الطغاة.

---

[1]– جامع البيان عن تأويل آيات القرآن: الطبري، ج 4، ص 21.

[2]– ارشاد العقل السليم: أبو السعود، ج 1، ص 608.

[3]– سورة النساء: الآية 37.

[4]– روح المعاني: الألوسي، ج 5، ص 30.

[5]– الكشاف: الزمخشري، ج 1، ص 526.

[6]– ذكره صاحب كنز العمال في الشعب من حديث أبي هريرة مرفوعا، ج 6، ص 641.

ب- ومنه قول الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾.[1] موضع الالتفات في قوله تعالى: "آتنا" بصيغة التكلم وذلك بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى: "ما أتاهم الله". قال الزمخشري: "(فقد آتينا إلزام لهم بما عرفوه من إيتاء الله الكتاب والحكمة (آل إبراهيم) الذي هم أسلاف محمد ﷺ وأنه ليس لبدع أن يؤدتيه الله مثل ما أتى أسلافه)".[2] وفيه (تعليل للإنكار والاستقباح وإلزام لهم بما هو مسلم عندهم وحسم لمادة حسدهم واستبعادهم المبنيين على توهم عدم استحقاق المحسود لما أوتي من الفضل ببيان استحقاقه له بطريق الوراثة كابرا عن كابر وإجراء الكلام على سنن الكبرياء بطريق الالتفات لإظهار كمال العناية بالأمر).[3] وأنه سبحانه وحده يؤتي فضله لمن يشاء من عباده فقد أت إبراهيم الخليل وذريته من بعده فضلا عظيما واليهود يعرفون ذلك جيدا، وكذا ألزمهم الله بهذا الالتفات في قوله تعالى: "فقد آتينا" ليجعله في مقام التوبيخ الشديد على استنكارهم فضل الله على محمد ﷺ وحسدهم له عليه أفضل الصلاة والتسليم الذي لا مبرر له إلا ما انطوت عليه نفوسهم البغيضة من خبيث الطباع وإلا (فلم يخصونه بالحسد ولا يحسدون آل إبراهيم؟ ﷺ يعني سليمان وداوود عليهما السلام في أنهما أعطيا النبوة والكتاب وأعطيا مع ذلك ملكا عظيما).[4]

ج- ومن هذا اللون من الالتفات قول الله تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.[5] موضع الالتفات في قوله تعالى: "نؤتيه" بضمير التكلم وذلك بعد قول تعالى: "فليقاتل في سبيل الله" بصيغة الغيبة عن الله في لفظ الجلالة وحكمته (لإظهار مزيد عنايته سبحانه بهذا الأجر الموتى من قبله جل جلاله لذا أسنده إلى نفسه الشريفة فلا يكاد يعلم كما لتناهي سعته فهو سبحانه صاحبه والقائم عليه بنفسه الشريفة وعطاء العظيم مثله وتعالى الله سبحانه عن

---

[1]- سورة النساء: الآية 54.

[2]- الكشاف: الزمخشري، ج 1، ص 534.

[3]- إرشاد العقل السليم: أبو السعود، ج 1، ص ص 536، 537.

[4]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: بن عطية الأندلسي المحاربي، ج 2، ص 68.

[5]- سورة النساء: الآية 74.

كل مثل).[1] إسناد الفعل لضمير التكلم فيه (حض من الله المؤمنين على جهاد عدوه من أهل الكفر به على أحايينهم غالبين كانوا أو مغلوبين والتهاون بأحوال المنافقين في جهاد ما جاهدوا من المشركين وقع جهادهم إياهم مغلوبين كانوا أو غالبين منزلة من الله رفيعة).[2] يهبهم إياها سبحانه مؤكدا ذلك بنون العظمة في نؤتيه.

د- ومنه قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.[3] في هذه الآية الباركة التفاتات عدة يهمنا هنا الالتفات من الغيبة في قوله تعالى: "ما أصابك من حسنة فمن الله" في لفظ الجلالة الله إلى ضمير التكلم في قوله تعالى: "وأرسلناك" بنون العظمة وكان مقتضى الظاهر وتمشيا مع السياق السابق استمرار صيغة الغيبة لتكون الآية – وأرسلك الله- بدل قوله تعالى: "وأرسلناك" فلماذا عدل عن الغيبة إلا التكلم!؟ قال الطبري: (يعني بقوله جل ثناؤه وأرسلناك للناس رسولا إنما جعلناك يا محمد رسولا بيننا وبين الخلق تبلغهم ما أرسلناك به من رسالة وليس عليك غير البلاغ وأداء الرسالة إلى من أرسلت فإن قبلوا ما أرسلت به فلأنفسهم وإن ردوا فعليها).[4] إذن المهمة عظيمة فلا يناسبها إلا هذا الضمير المسمى نون العظمة وقد عدل إليه الحق تبارك وتعالى تشريفا للمرسل وتوضيحا لمهمته الأصلية –عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- ولتكون هذه الكلمة حجة دامغة ضد المفرِّطين والمفرطين في مزلته ﷺ وأتبعها المولى بما يؤكدها في قوله تعالى: "رسولا" التي هي (حال تتضمن معن التأكيد).[5] على مهمته ﷺ (أي رسولا للناس للناس جميعا لست برسول العرب وحدهم أن رسول العرب والعجم).[6] وتظهر روعة الالتفات في بيان مدى العناية الالهية بشأن هذا الرسول الكريم ﷺ وإن من حقه أن يطاع ولا ينسب إليه السوء فهو المبلغ عن الله تبارك وتعالى والتعبير بضمير التكلم يشعر بعظمة الموقف ويربي المهابة في النفوس هذا ما قاله بعض المفسرين.[7] لإيضاح مكانته عند ربه سبحانه

---

[1]- روح المعاني: الألوسي، ج 2، ص 81.

[2]- جامع البيان عن تأويل آيات القرآن: الطبري، ج 3، ص 106.

[3]- سورة النساء: الآية 79.

[4]- جامع البيان عن تأويل آيات القرآن: الطبري، ج 3، ص 112.

[5]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: بن عطية الأندلسي المحاربي، ج 2، ص 82.

[6]- الكشاف: الزمخشري، ج 1، ص 546.

[7]- إرشاد العقل السليم: أبو السعود ج 1، ص 554.

وتعالى: "وكفى بالله شهيدا" على رسالتك أو على صدقك في جميع ما تدعيه (توعد للكفرة وتهديد تقتضيه قوة الكلام).[1]

هـ- ومنه قول الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا[2] ﴾موضع الالتفات في هذه الآية من صيغة الغيبة في قوله تعالى: "فقد أطاع الله" في لفظ الجلالة إلى ضمير التكلم في قوله تعالى: "أرسلناك"، وفي الآية التفات آخر من الغائب أيضا في قوله تعالى: "الرسول" إلى الخطاب في قوله تعالى: "أرسلناك" في -كاف الخطاب-والذي يعنينا هنا هو الالتفات الأول من الغائب إلى التكلم والسر فيه هو زيادة توثيق مصدر الرسالة التي كلف بها نبينا محمد ﷺ وكأنها ترديد لمعنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾.[3] فكل ما جاء به عليه الصلاة والسلام يوجب طاعته لأنها السبيل الوحيد لطاعة الله سبحانه وتعالى، ولهذا جاء ضمير العظمة فيه: "أرسلناك" ليدحض كيد الكافرين ويرد سيوفهم إلى نحورهم مدحورين فهي (بيان لأحكام رسالته ﷺ إثر بيان تحققها، وإنما كان كذلك لأن الآمر والناهي في الحقيقة الحق سبحانه والرسول إنما هو مبلغ للأمر والنهي فليست الطاعة له بالذات وإنما هي لمن بلغ عنه).[4]

و- ومن هذا اللون من الالتفات قول الحق تبارك وتعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[5] .

. الالتفات في قوله تعالى: نؤتيه بضمير التكلم بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى: "مرضات الله". ويقول الله سبحانه وتعالى: "لا خير في كثير من نجوى الناس جميعا إلا من أمر بصدقة أو معروف ... ثم أخبر جل ثناؤه بما وعد من فعل ذلك فقال ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما... ولا حد لمبلغ ما سمى الله عظيما يعلمه

---

[1]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: بن عطية الأندلسي المحاربي، ج 2، ص 82.

[2]- سورة النساء: الآية 80.

[3]- سورة النجم: الآيتان 3، 4.

[4]- روحي المعاني: الألوسي، ج 2، ص 91.

[5]- سورة النساء: الآية 114.

سواه".[1] فنكتته إذن زيادة التأكيد على أهمية هذا العطاء ومنزلته عنده سبحانه وقد مر معنا مثل هذا كثير فيكون الالتفات في هذا المقام وأمثاله لمزيد اللطف والاعتناء من المولى العلي القدير بعباده المؤمنين.

ز- ومنه قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾.[2] وفي هذه الآية الكريمة نوعان من الالتفات: الأول من الغيبة في قوله تعالى: "ولله ما في السماوات" إلى التكلم في قوله تعالى: "ولقد وصينا" وهو مدار بحثنا هنا والثاني؛ في عودة الضمير من صيغة التكلم إلى صيغة الغيبة.

إنّ لفظ الجلالة الذي بدأت به الآية يناسب تماما (عموم ملكة العظيم الجامع المستلزم تدبيره بجميع أنواع التدبير، وتصرفه بأنواع التصريف قدرا، وشرعا).[3] ومن أنواع تصرفه سبحانه شدة الاعتناء بالتقوى التي هي ملاك الإيمان، ولذا (يقول سبحانه: ولقد أمرنا أهل الكتاب... وإياكم... وقلنا لكم ولهم اتقوا الله يقول احذروا الله أن تعصوه وتخالفوا أمره ونهيه وإن تكفروا... فإن لله ما في السماوات وما في الأرض... فإنكم لا تضرون بخلافكم وصيته غير أنفسكم ولا تعدون في كفركم ذلك أن تكونوا أمثال اليهود والنصارى في نزول عقوبته بكم وحلول غضبه عليكم كما حل بهم إذ بدلوا عهده ونقضوا ميثاقه فغير بهم ما كانوا فيه من خفض العيش وأمن الشرب وجعل منهم القردة والخنازير ذلك أن له ملك جميع ما حوته السماوات والأرض لا يمتنع عليه شيء أراده).[4] فظهور ضمير التكلم في "وصينا" يدل على عظم جانب الأمر الموصي به حتى يباشر المولى عز وجل بنفسه الشريفة عشارة منه سبحانه على وجوب امتثاله وكذا على شدة قربه سبحانه من عبادة المتقين برحمته وبره ولا تفاضل بين العباد إلا بالتقوى التي أوصى بها وبنفسه سبحانه، وفي هذا مجاز حكمي يصور المعنى أيما تصوير ويعطيه مزيدا من العناية والتقدير.

---

[1]- روحي المعاني: الألوسي، ج 2، ص 144.

[2]- سورة النساء: الآية 131.

[3]- تفسير السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تح: عبد الرحمان بن معلى اللويحق، ط 1، 2000، ج 1، ص 421.

[4]- جامع البيان عن تأويل آيات القرآن: الطبري، ج 4، ص 204.

ح- وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠)، أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٥١)﴾.[1] الالتفات بين الآيتين السابقتين في قوله تعالى: "اعتدنا" بضمير التكلم وذلك بعد صيغة الغيبة في لفظ الجلالة -الله- في قوله تعالى: "إن الذين يكفرون بالله" وكذا في قوله تعالى: "يريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله" فلماذا ظهر ضمير التكلم بعد هذه الغيبة؟! إن في قوله تعالى: "واعتدنا للكافرين عذابا مهينا" وعيدا شديد اللهجة لهم بالإهانة في العذاب.[2] وقد زاده تأكيدا ظهور هذا الضمير الذي يدل على شدة غضبه سبحانه وتعالى على الكافرين لهذا أعد لهم جل جلاله عذابا مهينا مسندا إليه سبحانه ليدل على عظم هذا العذاب المهين، وقد راينا أنه عند كل أمر عظيم يظهر هذا الضمير -وإن كانت أمور الله كلها عظيمة - ليمدنا هذا الضمير بعمق أبعد في شدة الاهتمام بها.

ط- ومنه قول الله تعالى: ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.[3] وذلك بعد قوله جل من قائل: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾.[4] فالالتفات من الغائب في قوله تعالى: "وبصدهم عن سبيل الله" في لفظ الجلالة -الله- إلى ضمير التكلم في قوله تعالى: "واعتدنا وكان مقتضى السياق استمرار صيغة الغيبة فيكون الأسلوب -اعتد الله- لكنه سبحانه آثر ظهور ضمير التكلم والسر فيه -والله أعلم واحكم- زيادة التأكيد على التهديد والوعيد (لأن من يؤمن بالله أي بأن للعالم خالفا ولا يؤمن بوحيه إلى رسله لا يكون إيمانه بصفاته صحيحا ولا يهتدي إلى ما يجب من الشكر سبيلا...ولذا نرى هؤلاء الكافرين بالرسل ماديين لا تهمهم إلا شهواتهم)".[5] وهم لا ريب بعيدون عن رحمة ربي ولذا لك يظهر لفظ الجلالة في قوله تعالى: "اعتدنا" أي لم يأت اعتد الله لأن لفظ الجلالة اسم جامع لمعاني

---

[1]- سورة النساء: الآية 150، 151.

[2]- تفسير السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ج 1، ص 435.

[3]- سورة النساء: الآية 161.

[4]- سورة النساء: الآية 160.

[5]- روحي المعاني: الألوسي، ج 2، ص 14.

كثيرة منها الرحمة واللين والمغفرة، وهؤلاء العاصون لا يستحقون شيئا منها ولهذا أيضا أتى ضمير التكلم في قوله تعالى: "حرمنا" في الآية التي سبقت هذا الوضع وحكمته مماثلة لما ذكرناه في هذه الآية موضع الدراسة ولكن نوعه مخالف حيث التفات من التكلم في حرمنا إلى الغائب في قوله تعالى: "عن سبيل الله" وقد درس بفضله.[1]

ي- ومنه قول الله تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ۚ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ۚ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.[2] موضع الالتفات في هذه الآية الكريمة في قوله تعالى: "سنؤتيهم بضمير التكلم وذلك بعد قوله تعالى: "والمؤمنون بالله" بصيغة الغيبة في لفظ الجلالة وحكمته تكمن في تكريم هؤلاء المؤمنين الذين استحقوا من الله جل جلاله ذلك الأجر العظيم (جزاء على ما كان منهم من طاعة الله وإتباع أمره وثوابا عظيما وذلك الجنة).[3] (لأنهم وقد صح إيمانهم ابله ورسله وكانوا على بصيرة فيه "يهديهم ربهم بإيمانهم" الصحيح إلى العمل الصالح الذي هو اثره ولازمه).[4] ينالونه منه سبحانه دون وسائط إجلالا وتكريما لما هم عليه من الايمان والاستقامة عليه في أمورهم كافة وفية مناسبة لقوله تعالى فيما سبق: "واعتدنا".[5] كما قال صاحب البحر المحيط.

س- ومنه قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾.[6] الالتفات في قوله تعالى: "وأنزلنا" بضمير التكلم وذلك بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى: "من ربكم" عنه سبحانه وتعالى. إن المتأمل لهذه الآية الكريمة (يظهر له به على اختصاره أن محمدا النبي الأمي ﷺ كان نفسه برهانا من الله تعالى أي حجة قطعية على حقية دينه، وأن كتابه القرآن العربي أنزل من العلم الإلهي عليه، ولم يكن لعلمه الكسبي أن

---

[1]- إرشاد العقل السليم: أبو السعود، ج 2، ص 20.

[2]- سورة النساء: الآية 162.

[3]- جامع البيان عن تأويل آيات القرآن: الطبري، ج 4، ص 20.

[4]- تفسير القرآن الحكيم: الشهير بـ(تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، ط 2، 1366 هـ، 1947 م، ج 6، ص 10.

[5]- تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الأندلسي، ج 3، ص 397.

[6]- سورة النساء: الآية 174.

يأتي بمثله وإنما أنول نورا مبينا إلى جميع الناس، ليروا بتدبيره حقيقة دين الله الذي يسعدون به في حياتهم الدنيا وينالون به في الآخرة ما هو خير وأبقى).[1] وكان (التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة لضمير المخاطبين لإظهار اللطف بهم والإيذان بأن مجيء ذلك من تربيتهم وتكميلهم... وإسناد إنزاله إليه تعالى بطريق الالتفات لكمال تشريفه).[2] ووجوب تباعه على العباد كافة.

5-الالتفات من الخطاب إلى الغيبة: قد ورد في سورة النساء بعض من الأمثلة على هذه الصورة، وسوف نتناول بشيء من الدراسة والشرح بعضا منها الذي ورد:

أ-في قوله تعالى:﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا (٤١)يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا (٤٢)﴾.[3]

الالتفات في قوله تعالى: "عصوا الرسول" في كلمة (الرسول) أتى بصيغة الغيبة عنه ﷺ وذلك بعد مخاطبته بقوله تعالى: "وجئنا بك" وكان مقتضى السياق -وعصوك- تمشيا مع الخطاب السابق، ولكنه سبحانه أتى بصيغة الغيبة ليورد ذكره ﷺ بعنوان الرسالة لتشريفه وزيادة تقبيح حال مكذبيه فإن حق الرسول أن يؤمن به ويطاع لا أن يكفر به ويعصى.[4] فتسميته ﷺ بهذا الاسم تعليل كاف لوجوب طاعته وعظم جرم من عصاه. وفي هذا من تهويل الأمر وتفظيع الحال ما لم يقادروا قدرة.[5] وإن كانت كلمة رسول ﷺتدل على جنس الرسل.[6] فإنه يدخل فيها دخولا أوليا فكأنه قال عز من قائل: (يوم نجيء من كل أمة بشهيد ونجيء بك على أمتك يا محمد شهيدا يود الذين كفروا يقولوا يتمنى الذين جحدوا وحدانية الله وعصوا رسوله لو تسوى بهم الأرض).[7] فيصيرون ترابا حالهم كحال البهائم.[8] أعاذنا الله من من هذا المصير.

---

[1]- تفسير القرآن الحكيم: الشهير بـ(تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، ج 6، ص 106.

[2]- إرشاد العقل السليم: أبو السعود، ج 1، ص 616.

[3]- سورة النساء: الآية 41-42.

[4]- روح المعاني: الألوسي، ج 2، ص 34.

[5]- إرشاد العقل السليم: أبو السعود، ج 1، ص ص 522، 523.

[6]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: بن عطية الأندلسي المحاربي، ج 2، ص 56.

[7]- جامع البيان عن تأويل آيات القرآن: الطبري، ج 4، ص 60.

[8]- التفسير الكبير الفخر الرازي، ج 10، ص 106.

ب- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾.[1] موضع الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في قوله تعالى: "أو نلعنهم" بصيغة الغيبة عن أهل الكتاب وذلك بعد مخاطبتهم بالنداء الذي تصدرت به الآية المباركة في قوله تعالى: "يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا" وكان مقتضى هذا الخطاب استمرار صيغته فتأتي الآية من قبل أن نطمس وجوهكم فنردها على أدبارها أو نلعنكم كما لعنا أصحاب السبت. والذي حسن هذا الالتفات (أنه تعالى لما ناداهم كان ذلك تشريفا لهم وهزا لسماع ما يلقيه إليهم ثم القى إليهم الأمر بالإيمان بما نزل ثم ذكر أن الذي نزل هو مصدق لما معهم من كتاب فكان ذلك أدعى إلى الإيمان ثم ذكر هذا الوعيد البالغ فحذف المضاف إليه من قوله من قبل أن نطمس وجوها والمعنى وجوهكم ثم عطف عليه قوله أونلعنهم فأتى بضمير الغيبة لأن الخطاب حين كان الوعيد بطمس الوجوه باللعنة ليس لهم ليبقى التأنيس دالهم والاستدعاء إلى الإيمان غير مشوب بمفاجئة الخطاب الذي يوحش السامع ويروع القلب ويصير أدعى إلى عدم القبول وهذا من جليل المخاطبة وبديع المحاورة).[2] التي تستحوذ على الألباب وتصل إلى الأعماق ولهذا أسلم أسلم بها من مكان ذا فطنة وذكاء من أهل الكتاب، أخرج ابن ابي حاتم عن كعب قال أتيت المدينة فإذا تال يقرأ القرآن "يا أيها الذين أوتوا الكتاب" الآية فبادرت الماء اغتسل، وإن لامس وجهي مخافة أن أطمس ثم أسلمت.[3]

جـ- ومنه قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.[4] الالتفات في قول الله تعالى: "استغفر لهم الرسول" لصيغة الغيبة عنه ﷺ بعد مخاطبته في قوله تعالى: "جاءوك" وقد كان مقتضى هذا الخطاب استمراره بمثل واستغفرت لهم بدل قوله: "واستغفر لهم الرسول"، قال الطبري رحمه الله (يعني بذلك جل ثناؤه ولو أن هؤلاء المنافقين الذي وصف صفتهم في هاتين

---

[1]- سورة النساء: الآية 47.

[2]- إرشاد العقل السليم: أبو السعود، ج 1، ص 531.

[3]- الدر المنثور في التفسير المأثور، جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 2، 1432 هـ 2011 م، (د ط)، ص 55.

[4]- سورة النساء: الآية 64.

الآيتين الذي إذا دعوا إلى حكم الله وحكم رسوله صدوا صدودا أي ظلموا أنفسهم لاكتسابهم إياها العظيم من الإثم في احتكامهم إلى الطاغوت وصدودهم عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إذا دعوا إليها جاءوك يا محمد... تائبين منيبين فاسألوا الله أن يصفح لهم... وسأل لهم الله رسوله مثل ذلك، لوجدوا الله توابا رحيما).[1] فقال عز من قائل: (واستغفر لهم الرسول) (ولم يقل واستغفرت لهم اجلالا للرسول، وأنهم إذا جاءوه فقد جاءوا من خصه الله برسالته وأكرمه بوحيه وجعله سفيرا بينهم وبين خلقه، ومن كان كذلك فإن الله لا يرد شفاعته، فكانت الفائدة في العدول عن لفظ الخطاب إلى لفظ المغايبة ما ذكرناه).[2] فشفاعة من هو رسول عظيمة الشأن جديرة بالقبول عنده سبحانه ولهذا عدل بالأسلوب من الخطاب إلى الغيبة تفخيما لشأن تلك الشفاعة ويراد لعلة قبولها.

د- ومنه قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾.[3] الالتفات في قوله تعالى: "وإن تصبهم حسنة يقولوا" بصيغة الغيبة عنهم وذلك بعد الخطاب المباشر في بداية الآية "أينما تكونوا" بدأت الآية المباركة بخطاب مباشر ذلك لعموم الحكم الذي تضمنه هذا المقطع من الآية، مبينا سبحانه وتعالى (أنه لا خلاص لهم من الموت، والجهاد موت مستعقب لسعادة الآخرة، فإذا كان لا بد من الموت، فبأن يقع على وجه يكون مستعقبا للسعادة الأبدية كان أولى منأى لا يكون كذلك).[4] ثم أعقب هذا الحكم العام كلام يخص اليهود وكذا المنافقين.[5] وقيل أنه خاص بالمنافقين لكونهم متثاقلين عن الجهاد خائفين من الموت غير راغبين في سعادة الآخرة وإن جاهدوا وقاتلوا فأصابوا راحة وغنيمة قالو: هذه من عند الله، وإن أصابهم مكروه: هذا من شؤم مصاحبة محمد ﷺ.[6]

---

[1]- جامع البيان عن تأويل آيات القرآن: الطبري، ج 4، ص 100.

[2]- التفسير الكبير الفخر الرازي، ج 10، ص 162.

[3]- سورة النساء: الآية 78.

[4]- التفسير الكبير الفخر الرازي، ج 10، ص 187.

[5]- ارشاد العقل السليم: ابو السعود، ج 1، ص 553.

[6]- التفسير الكبير الفخر الرازي، ج 10، ص 188.

كما أخرج ابن جرير عن زيد قال: "هذه الآيات نزلت في شأن الحرب".[1] وفي هذا الالتفات إلى الغيبة في قوله تعالى: "وإن تصبهم" من الاستتكار الشديد اللهجة من الله عز وجل لعملهم هذا ما يجعلهم غير اهل لمخاطبته سبحانه فهم أحقر من ذلك بكثير فاستحقوا البعد عن حضرة الله وأوليائه ولذا جاءت صيغة الغيبة لتمثل هذا لامعنى أوضح تمثيل، وذلك بعد المواجهة الصريحة في أول الآية "أينما تكونوا يدرككم الموت" التي تفيد عموم الخطاب.

هـ- ومنه في سورة النساء المباركة قول الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ۖ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (٨١) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢) وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (٨٣)﴾.[2] الالتفات في قول الله تعالى: "إلى الرسول" بصيغة الغيبة عن رسول الله ﷺ وذلك بعد مخاطبته في قوله تعالى: "من عندك" وكذا حتى "تقول" وكذا "فاعرض" وكذا "وتوكل" وكان مقتضى هذه المخاطبة قوله -ولو ردوه إليك- بدل قوله تعالى: "ولو ردوه إلى الرسول" فلماذا عدل بالأسلوب من الخطاب إلى الغيبة؟ قيل فيه: (والالتفات لما أن عنوان الرسالة من موجبات الرد والمراجعة إلى رايه عليه الصلاة والسلام).[3] فلو أمسكوا عن الخوض فيما بلغهم واستقصوا الأمر من الرسول وأولى الأمر لعلم حقيقة ذلك الأمر الوارد من له بحث ونظر وتجربة فأخبرهم بحقيقة ذلك وأن الأمر ليس جاريا على أول يطرأ .[4] فحاجة السياق لإيراد كلمة (الرسول) ﷺ وأنه من أحق حقوقه أن يرد إليه في كافة الأمور وهو حي وإلى الكتاب الذي جاء به وسنته المطهرة بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وقد نبه سبحانه وتعالى بقوله: (وإلى أولي الأمر منهم) على وجوب طاعة الحكام والعلماء وأن طاعته في غير معصيته امتداد لطاعته سبحانه وهذا الحكم ساري المفعول إلى قيام الساعة.

---

[1]- جامع البيان عن تأويل آيات القرآن: الطبري، ج 4، ص 110.

[2]- سورة النساء: الآية 81، 82، 83.

[3]- إرشاد العقل السليم لأبي السعود: ج 1، ص 557.

[4]- تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الأندلسي، ج 3، ص ص 305- 306.

6-**الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:** من أهم المواضيع التي وجد فيها هذا النوع من الالتفات.

أ-قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (٦٤) فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾.[1] وذلك بعد قوله تعالى: "واستغفر لهم الرسول" في الآية السابقة عليها فالالتفات من الغيبة في قوله تعالى: "واستغفر لهم الرسول" إلى الخطاب في قوله تعالى: "فلا وربك"، والسرفية في مناسبة لفظة (رب) وإضافتها لضميره ﷺ زيادة تأكيد على حاجتهم جميعا لتحكيمه صلوات الله وسلامه عليه في كافة أمورهم فأنت المربي لهذا الغرض من لدن البارئ المصور، ولا احد يبلغ منزلتك هذه مهما كان فمن عدل عنك على سواك في الحكم فقد عدل عن الكمال إلى النقص وهذا ما يوجب إخراجه من الإيمان ففعله هذا دليل عليه في عدم ثقته بك وبمن رباك لهذه المهام العظام، وهذا الحكم لا يقتصر على معاصري النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، بل يدخل فيه كافة الخلق لكل زمان ومكان، فإن قضاء شريعته عليه الصلاة والسلام قضاؤه. فقد روي عن الصادق رضي الله عنه أنه قال لو أن قوما عبدو الله تعالى وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاموارمضان وحجو البيت ثم قالوا لشيء صنعه رسول الله ﷺ أن لا صنع خلاف ما صنع أو وجدوا في أنفسهم حرجا لكانوا مشركين ثم تلا هذه الآية.[2] وقال صاحب البحر المحيط: (واقسم بإضافة الرب إلى كاف الخطاب تعظيما للنبي ﷺ، وهو التفات راجع إلى قوله: جاءوك).[3]

ب-ومنه في سورة النساء العظيمة قول الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾.[4] وهذا بعد قوله تعالى:﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ

[1]- سورة النساء: الآية 64، 65.

[2]- روح المعاني: الألوسي، مج 2، ج 5، ص 70.

[3]- تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الأندلسي، ج 3، ص 284.

[4]- سورة النساء: الآية 80.

تَكِيلًا ﴿٨٤﴾.[1] الالتفات من الغيبة: وهو طريق الموصول الواقع فاعلا لفعل الأمر (فقاتل) في قوله تعالى: "الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة" إلى الخطاب في قوله تعالى: "وما لكم لا تقاتلون"ونكتته كما قال أحد المفسرين (خطاب للمأمورين بالقتال على طريقة الالتفات مبالغة في التحريض والحث عليه وهو المقصود من الاستفهام).[2] وقد جاء الاستفهام بغرض الاستنكار الشديد على القاعدين عن نصرة المستضعفين والاستنكار يحتاج إلى مواجهة ليكون أدعى للشذب والتنديد ولهذا تغير الأسلوب من الغيبة السابقة إلى الخطاب في أول الآية.

وقد علل أحد المفسرين ذكر أهل القرية دون القرية قائلا: (وفي هذه نكتة بلاغية حسنة: وهي أن كل قرية ذكرت في الكتاب العزيز فالظلم إليها ينسب بطريق المجاز كقوله –وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة إلى قوله تعالى– "فكفرت بأنعم الله"[3]–وقوله تعالى: "وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها".[4] وأما هذه القرية في سورة النساء فينسب الظلم على أهلها على الحقيقة لأن المراد بها مكة المكرمة، فوقرت عن نسبة الظلم إليها تشريفا لها شرفها الله تعالى).[5]

ج – ومنه قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾.[6] موضع موضع الالتفات الأول في هذه الآية الكريمة في قوله تعالى: "فما ارسلناك" بضمير الخطاب –الكاف– وذلك بعد ذكره ﷺ بصيغة الغائب في قوله تعالى: "ومن يطع الرسول" فالالتفات كما ترى من الغائب إلى المخاطب.

وبالتأمل في هذه الآية المباركة نجد أن للالتفات فائدة عظيمة جدا يبرزها العلم بسبب نزولها ذلك أن رسول الله ﷺ ورد عنه أنه قال: "من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع

---

[1]– سورة النساء: الآية 84.

[2]– إرشاد العقل السليم: أبو السعود، ج 1، ص 549.

[3]– سورة النحل: الآية 112.

[4]– سورة القصص: الآية 58.

[5]– الانصاف فيما تضمنه الكشاف: ابن المنير الإسكندري،ج 1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1966، (د ط)، ص 542.

[6]– سورة النساء: الآية 80.

الله، فقال المنافقون ألا تسمع إلى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك، وهو نهى أن يعبد غير الله تعالى ما يريد إلا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى عليه السلام فنزلت؟".[1] أي من أعرض عن الطاعة فأعرض عنه لأننا إنما أرسلناك رسولا مبلغا لا حفيظا مهيمنا تحفظ أعمالهم عليهم وتحاسبهم عليها فهذا عملنا نحن المرسلين وفي توجيه الخطاب له ﷺ تبكيت للمنافقين المدعين على الرسول ﷺ تلك الدعاوي الباطلة.

د- ومنه أيضا قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (٨٣)﴾.[2] الالتفات في الآية المباركة: "ولولا فضل الله عليكم ورحمته لتبعتم الشيطان إلا قليلا" على سبيل الخطاب المباشر بعد أن كان السياق في أول الآية بصورة الغيبة بقوله تعالى: "وإذا جاءهم أمر" أي أن الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.[3] ولهذا الالتفات حكمة عظيمة ولطيفة دقيقة فالمتأمل في معنى الآية الكريمة يجد أنه لما كان المقام مقام تأنيب وتنديد بأحوال هؤلاء القوم المشيعين للأمور قبل التثبت منها وإيذاء الرسول ﷺ والمسلمين جاء السياق على طريق الغيبة إيذانا ببعد هؤلاء عن الصلوات وعتاب الله سبحانه وتعالى لهم؛ ولما صار المقام مقام رحمة وتكريم وتودد جاء السياق على طريق الخطاب المباشر لبيان مقدار العناية الإلهية بالفئة الناجية منهم، ولهذا ولمثله يأتي الالتفات مرتبطا تماما بالمعاني الواردة في السياق ولذا فهو من باب الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم.

هـ- ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾.[4] فالالتفات في الآية الكريمة جاء بإيراد اللفظ بضمير الغائب "قد جاءكم"، إلى إيراده بلفظ المتكلم "وأنزلنا" كان ذلك من أجل التعبير عن قصده.

وأشار إلى هذا النموذج أبو السعود: "وإسناد إنزاله إليه تعالى بطريق الالتفات لكمال تشريفه".[5]

---

[1]- إرشاد العقل السليم: أبو السعود، ج 1، ص 555.

[2]- سورة النساء: الآية 83.

[3]- روح المعاني: الألوسي، ج 2، ص 93.

[4]- سورة النساء: الآية 74.

[5]- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود، ج 2، ص 263.

وقد فسر الزمخشري الآية بقوله: "البرهان هو النور المبين القرآن، أو أراد بالبرهان دين الحق أو رسول الله ﷺ وبالنور المبين ما بينه ويصدقه من الكتاب المعجز".[1]

أما الرازي فيفسرها بقوله: "والبرهان هو محمد ﷺ وإنما سماه برهانا فلأنه حرقته إقامة البرهان على تحقيق الحق، وإبطال الباطل، النور المبين هو القرآن، وسماه نور لأنه سبب لوقوع نور الإيمان في القلب".[2]

وفسر صاحب "صفوة التفاسير" الآية بقوله: "أي أتاكم حجة من الله، وهو محمد رسول الله ﷺ المؤيد بالمعجزات الباهرة، "وأنزلنا إليكم نورا مبينا" أي أنزلنا عليكم القرآن ذلك النور الوضاء".[3]

و- وفي قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.[4] ففي هذه الآية الكريمة التفات عن الخطاب، في قوله: "جاءوك" إلى الغيبة في قوله: "واستغفر لهم الرسول"، في حين أن مقتضى التركيب يستدعي "استغفرت لهم"، ولكنه خرق التركيب وخرق معه متوقع المتلقي، وذلك بقصد تعظيم شأن الرسول ﷺ، كما فسرها الزمخشري "واستغفرت لهم، وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيما لشأن رسول الله ﷺ، وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على أن الشفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان".[5]

الالتفات في هذه الآية خرج عن مقتضى التركيب والتحول من صيغة الخطاب إلى الغائب، كان قصد التعبير عن مكانة الرسول ﷺ الرفيعة والعظيمة.

ز- ومن الالتفات الوارد في السورة أيضا: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[6]. فقد انتقل من الخطاب في قوله تعالى: "أَيْنَمَا تَكُونُوا

---

[1]- تفسير الكشاف: الزمخشري، ج 5، ص 275.

[2]- مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، ج 11، ص 121، 122.

[3]- صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، ج 1، ص 322.

[4]- سورة النساء: الآية 63.

[5]- تفسير الكشاف: الزمخشري، ج 5، ص 244.

[6]- سورة النساء: الآية 78

يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِيبُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ.." إلى الغائب في قوله عز وجل: "وَإِن تُصِبْهُ مْسَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ" لكنه عدل عن ذلك للتعبير عن قصد معين.

وقد ذكر الطبري في تفسيره أن الآية نزلت في جارية بنى لها زوجها برجا، وقتلت، عنكبوتا بإبهامها فأصابها سمه فقتلها.[1]

وقد بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أنه لا مفر من الموت، ولا مهرب منه.

ويقول أبو السعود " أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ " كلام مبتدأ مسوق من قبله تعالى بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله ﷺ إلى المخاطبين اعتناء بإلزامهم إثر بيان حقارة الدنيا وعلو شأن الآخرة".[2]

ومن هنا كان هذا التحويل من أجل التعبير عن الاستنكار الشديد لهؤلاء المنافقين الذين تشاءموا من محمد ﷺ"هذا من عندك"، فكان حقا على الله أن يلتفت عنهم بضمير الغائب تحقيرا لهم، وإبعادهم عن الخطاب، والاكتفاء بالحديث عنهم غيبا.

المطلب الثاني: الالتفات في الأعداد

يحفل القرآن بالعديد من مواطن الالتفات في مجال العدد (الإفراد، التثنية، الجمع) ونود فيما يلي أن نتوقف إزاء هذه المواطن في سورة النساء.

1-**الالتفات بين الإفراد والتثنية:** مثل قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾.[3] فسرها محمد علي الصابوني في صفوة التفاسير بـ: "من يطع الرسول فقد أطاع الله" أي من أطاع الرسول فقد أطاع الله لأنه مبلِّغ عن الله، "ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا" أي ومن أعرض عن طاعتك فما أرسلناك يا محمد حافظا لأعمالهم وحاسبا لهم عليها إن عليك إلا البلاغ.[4]

---

[1]– جامع البيان عن تأويل آيات القرآن: الطبري، ص 235، 236.

[2]– إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود، تخريج وتعليق وضبط: صحبي حسن حلاق، ط 1، ج 2، بيروت، لبنان، 1402، 2001، ص 204.

[3]– سورة النساء: الآية 80.

[4]– صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، ج 1، ص 292.

وفسرها الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير.. "من يطع الرسول فقط أطاع الله" لاشتمالها على إثبات كونه رسولا واستلزاما أنه يأمر وينهى، وأن ذلك تبليغ لمراد الله تعالى، فمن كان على بينة من ذلك أو كان في غفلة فقد بين الله له اختلاف مقامات الرسول: "فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا"، أي حارسا لهم ومسؤولا عن إعراضهم، وهذا تعريض لهم بأن صرفَهُ عن الاشتغال بهم، فيعلم أن الله سيتولى عقابهم.[1]

2-**الالتفات بين الإفراد والجمع:** وقوله تعالى أيضا: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ وقال أيضا: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٤)﴾.[2] وعند التأمل في الآيتين نلاحظ أن لفظ "الخلود" جاء مفردا –خالدا– مع العاصين، وفي المقابل جاء مجموعا –خالدين– مع الطائعين، فما السر في ذلك؟! والجواب الله أعلم أن الاسم الموصول "من"مفرد في اللفظ جمع في المعنى، فلهاذا جاز الإفراد والجمع بعده، ولعل السر في اختصاص أهل الطاعة بالجمع، أن اجتماع أهل الجنة في الجنة من كمال نعيمهم وأن من كمال عذاب أهل النار العزلة والانفراد. ألا ترى لو أن أحدا يسكن في قصر وحيدا لدخلت عليه الوحشة والضيق، ولو تأملت في أعظم العقوبات على المسجونين لعلمت أنه السجن الانفرادي حيث لا يكلم المسجون أحدا ولا يستأنس بالناس، وقد أشار أبو السعود في تفسيره لهذا الكلام فقال: "تلك حدود الله" أي تلك الأحكام المذكورة شرائع الله التي حدها لعباده ليعملوا بها ولا يعتدوها "ومن يطع الله ورسوله ندخله جنات تجري من تحتها الأنهار" أي من يطع أمر الله فيما حكم وأمر رسوله فيما بين، يدخله جنات النعيم التي تجري من تحت أشجارها و أبنيتها الأنهار "خالدين فيها" أي ماكثين فيها أبدا "وذلك الفوز العظيم" أي الفلاح العظيم "ومن يعض الله ورسوله ويتعد حدوده" أي ومن يعض أمر الله وأمر الرسول ويتجاوز ما حده الله تعالى له من الطاعات "ندخله نارا خالدا فيها" أي يجعله مخلدا في نار جهنم لا يخرج منها أبدا "وله عذاب مهين" أي وله عذاب شديد مع الاهانة والاذلال والعذاب.[3]

---

[1]– التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور، ج 5، ص 135.

[2]– سورة الآية: 13، 14.

[3]– صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، مج 1، ص 264.

الصيـــغ:

يتحقق الالتفات في هذا المجال كلما تخالفت صيغتان (في نسق واحد) من مادة معجمية واحدة، من ذلك مثلا المخالفة بين صيغ الأفعال (الماضي، المضارع، الأمر)، أو بين صيغتي نوع واحد منها، أو بين صيغ الأسماء، أو بين صيغة من صيغ الاسم وأخرى من صيغ الفعل.[1]

بين صيغتي الفعل: (نزَّل. أنزلَ)

وذلك في قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.[2]

أسلوب الالتفات جاء في هذه الآية الكريمة على صيغة الفعل الماضي (نزَّل) بالتشديد في وصف نزول القرآن على سيدنا محمد ﷺ ثم تحولت من هذه الصيغة إلى صيغة ماضوية أخرى (أنزل) في وصف نزول التوراة والإنجيل على موسى وعيسى عليهم السلام.

وقرأ نافع، وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف،... "نَزَّلَ و أَنْزَلَ" كليهما بالبناء للفاعل، وقرأه ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو بالبناء لنائب.

وجاء في صلة وصف الكتاب "الذي نزل على رسوله" بصيغة التفعيل، وفي صلة الكتاب "الذي أنزل من قبل" بصيغة الافعال تفننا، أو لأن القرآن حينئذ بصدد النزول نجوما، والتوراة يومئذ قد انقضى نزولها.[3]

ولقد حاول كثير من المفسرين معرفة السر في هذا التحول فريقا يرى أن صيغة (فعَّل) هي المبالغة والتكثير.

والفريق الثاني خالف الأول في تفسير (فَّعل) لكثرة تنزيلاته، وعبر عن التوراة والانجيل بصيغة (أفعل) الخالية من معنى المبالغة والتكثير.

---

[1]- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: حسن طبل، ص 62.

[2]- سورة النساء: الآية 136.

[3]- تفسير التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور، ج 5، ص 230.

فسرها صاحب "تفسير التحرير والتنوير": وصف المخاطبين بأنهم آمنوا، وإردافه بأمرهم بأن يؤمنوا بالله ورسله إلى آخره، يرشد السامع إلى تأويل الكلام تأويلا يستقيم به الجمع بين كونهم آمنوا وكونهم مأمورين بإيمان ويجوز في هذا التأويل خمسة مسالك.

المسلك الأول: تأويل الإيمان في قوله: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا " بأنه إيمان مختل منه بعض ما يحق، الإيمان به، فيكون فيها خطاب لنفر من اليهود آمنوا، وهم عبد الله بن سلام، أسد وأسَيْد ابنا كعب، وثعلبة بن قيس...، سألوا النبي ﷺ أن يؤمنوا به وبكتابه، كما آمنوا بموسى وبالتوراة، وأن لا يؤمنوا بالإنجيل.

المسلك الثاني: أن يكون التأويل في الإمام المأمور به أنه إيمان كامل لا تشوبه كراهية بعض بعض كتب الله، تحذيرا من ذلك، فالخطاب للمسلمين لأن وصف الذين آمنوا صار كاللقب للمسلمين، ولا شك أن المؤمنين قد آمنوا بالله وما عطف على اسمه هنا، فالظاهر أن المقصود بأمرهم بذلك: إما زيادة تقرير ما يجب الإيمان به، وتكرير استحضارهم إياه حتى لا يذهلوا عن شيء منه اهتماما بجميعه، وإما النهي عن إنكار الكتاب المنزل الكتاب المنزل على موسى وإنكار نبوءته.

المسلك الثالث: أن يراد بالأمر بالإيمان الدوام عليه تثبيتا لهم على ذلك، وتحذيرا لهم من الارتداد، فيكون هذا الأمر تمهيدا وتوطئة لقوله تعالى: "وَمَنيَكْفُرْبِاللَّهِوَمَلَائِكَتِهِ" ولقوله: "إن الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا ثم كفروا".

المسلك الرابع: أن الخطاب للمنافقين يعني: يا أيها الذين أظهروا الإيمان أخلصو إيمانكم حقا.

المسلك الخامس: روي عن الحسن تأويل الأمر في قوله: "آمِنُوا بالله" بأنه طلب لثباتهم على الإيمان الذين هم عليه، واختاره الجبائي، وهو الجاري على ألسنة أهل العلم، وبناء عليه جعلوا الآية شاهدا لاستعمال صيغة الأمر في طلب الدوام، والمراد بالكتاب الذي أنزل من قبل الجنس هو التعريف للاستغراق يعني: والكتب التي أنزل الله من قبل القرآن، ويؤيده قوله بعده "وكتبه ورسله".[1]

وفسرها صاحب "صفوة التفاسير: "يا أيها الَّذِينَ آمِنُوا آمنوا بالله ورسله" أي أثبتوا على الإيمان ودوموا عليه "والكتاب الذي نزل على رسوله" أي آمنوا بالقرآن الذي نزل على محمد

[1]– تفسير التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور، ج 5، ص 229، 230.

ﷺ "والكتاب الذي نزل من قبل" أي بالكتب السماوية التي أنزلها من قبل القرآن، فقال: قال أبو السعود المراد بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية، "وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا" أي ومن يكفر لشيء من ذلك فقد خرج طريق الهدى، وبعد عن القصد كل البعد.[1]

الالتفات بين صيغ الأفعال:

- **بين الاسم والفعل:** مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.[2]

جاء التحول عن صيغة المضارع، "يخادعون" إلى صيغة اسم الفاعل "يخادعون" إلى صيغة اسم الفاعل "خادعهم" مؤديا دوره في تبكيت هؤلاء المنافقين الذين تسول لهم نفوسهم الملتاثة بمرض النفاق أن ظاهرهم الإيماني الزائف قد أتى ثماره في خداع المؤمنين، وأن كفرهم في مأمن من الافتضاح، غافلين على أن الخالق عز وجل عليم ببواطنهم وأنه سبحانه وتعالى، إذا كان قد أمر المؤمنين بعصمة دمائهم فإنه بذلك يملي لهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون.

ولعلنا نلاحظ أن العدول عن صيغة المضارع إلى صيغة اسم الفاعل قد واكبه متآزرا معه في دلالته- عدول آخر يتمثل في صياغة اسم الفاعل من الثلاثي (خدع) لا من الرباعي الدال على المفاعلة والذي يقتضيه ظاهر السياق لمجيء المضارع منه (خادع) بفتح الدال، وفي هذا دلالة على أن هؤلاء المنافقين الذين يمنعون في محاولات الخداع، هم -لو عملوا- المخدوعون أي أن الآية الكريمة بهذا التحول الأخير تدل على ذلك المعنى الذي أكدته آية أخرى في شأن هؤلاء المنافقين، وهي قوله سبحانه: ﴿وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾.[3]

فسرها صاحب كتاب "صفوة التفاسير" قائلا: "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ" أي يفعلون ما يفعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطال الكفر، والله يجازيهم على خداعهم ويستدرجهم، "وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى" أي يصلون وهم متثاقلون

---

[1]- صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، ج 1، ص 311.

[2]- سورة النساء: الآية 142.

[3]- سورة البقرة: الآية 109.

متكاسلون "يراءون الناس" أي يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة ولا يقصدون وجه الله، "ولا يذكرون الله إلا قليلا" أي لا يذكرون الله سبحانه وتعالى إلا ذكرا قليلا.[1]

وفسرها أيضا صاحب "صاحب تفسير التحرير والتنوير" قائلا: "استئناف ابتدائي، فيه زيادة بيان لمساويهم، والمناسبة ظاهرة وتأكيد الجملة، بحرف (إنَّ)" لتحقيق حالتهم العجيبة وتحقيق ما عقبها من قوله (وهو خادعهم)، أي قابلهم بمثل صنيعهم، و(كسالى) جمع كسلان على وزن فُعالى، والكسلان المتصف بالكسل، وهو الفتور في الأفعال سآمة أو كراهية والكسل في الصلاة مؤذن يقله اكتراث المصلي بها وزهده في فعلها، فلذلك كان من شيم المنافقين، وقوله: "لا يذكرون الله إلا قليلا"، أي إلا ذكرا قليلا في تلك الصلاة التي يراءون بها.[2]

[1]– صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، ج 3، ص ص 312، 313.

[2]– التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور، ج 5، ص 239، 240.

جدول تفصيلي لصور الالتفات

1- الضمائر:

أ-الالتفات من التكلم إلى الغيبة:

الموضوع	نوع الالتفات	الغرض البلاغي
﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾. سورة النساء: الآية 33.	من التكلم إلى الغيبة.	تعظيم شأن الله جل جلاله.
﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا (41) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ سورة النساء: الآية 41، 42.	من التكلم إلى الغيبة.	تخويفهم و ترهبيهم.
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ سورة النساء: الآية 47.	من التكلم إلى الغيبة.	تربية المهابة وتعليل الحكم.

"إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا" سورة النساء: الآية 56	من التكلم إلى الغيبة	تهويل الأمر وتربية المهابة وتعليل الحكم.
"وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا" سورة النساء:الآية 64	من التكلم إلى الغيبة	تفخيما لشأن الرسول ﷺ وتعظيما لاستغفاره.
﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾. سورة النساء: الآية 79	من التكلم إلى الغيبة	تربية المهابة وتقوية الشهادة.
﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ سورة النساء: الآية 105.	من التكلم إلى الغيبة	تعظيم الحكم الذي سيحكم به النبي ﷺ.
﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ سورة النساء: الآية131.	من التكلم إلى الغيبة	نهيهم و تخويفهم.

﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ سورة النساء: الآية 160.	من التكلم إلى الغيبة	زيادة التأكيد على التهديد والوعيد.
﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ سورة النساء: الآية 164.	من التكلم إلى الغيبة	تعظيما وتشريفا لشأن سيدنا موسى عليه السلام.

ب- الالتفات من الغيبة إلى التكلم:

الموضع	نوع الالتفات	الغرض البلاغي
﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا للكافرين عَذَابًا مُهِينًا﴾ سورة النساء: الآية 37.	من الغيبة إلى التكلم.	التهويل والتعظيم.
﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ سورة النساء: الآية 54.	من الغيبة إلى التكلم.	التوبيخ الشديد على استنكارهم فضل الله على سيدنا محمد ﷺ.
"فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا" سورة النساء: الآية 74.	من الغيبة إلى التكلم.	والتهاون بأحوال المنافقين.
﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ سورة النساء: الآية 79.	من الغيبة إلى التكلم.	تعظيم شأن الرسول ﷺ.

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ سورة النساء: الآية 80.	من الغيبة إلى التكلم	تبليغ الرسول ﷺ للأمر والنهي.
﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ سورة النساء: الآية 114.	من الغيبة إلى التكلم.	زيادة التأكيد.
﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ سورة النساء: الآية131.	من الغيبة إلى التكلم.	التدبير و التصريف.
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ سورة النساء: الآية 150، 151.	من الغيبة إلى التكلم.	شدة الاهتمام.

﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ **وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ** كَثِيرًا وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ **وَأَعْتَدْنَا** لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾سورة النساء: الآية 160، 161.	من الغيبة إلى التكلم.	زيادة التأكيد على التهديد والوعيد.
﴿لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ۚ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ۚ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ **وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ **سَنُؤْتِيهِمْ** أَجْرًا عَظِيمًا﴾ سورة النساء: الآية 162.	من الغيبة إلى التكلم.	تكريم المؤمنين.
يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ **بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا** إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾. سورة النساء: الآية 174.	من الغيبة إلى التكلم.	تربية المهابة.

جـ - الالتفات من الخطاب إلى الغيبة:

الموضوع	نوع الالتفات	الغرض البلاغي
﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ **وَجِئْنَا بِكَ** عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا (٤١) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا **وَعَصَوُا الرَّسُولَ** لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا (٤٢)﴾ سورة النساء: الآية 41،42.	من الخطاب إلى الغيبة.	تهويل الأمر وتفظيع الحال.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ سورة النساء: الآية 74.	من الخطاب إلى الغيبة.	التأنيس والاستدعاء إلى الإيمان.
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ سورة النساء: الآية 64.	من الخطاب إلى الغيبة.	تعظيم شأن الرسول ﷺ.
﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ سورة النساء:الآية78.	من الخطاب إلى الغيبة.	الاستنكار الشديد.

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا **مِنْ عِنْدِكَ** بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي **تَقُولُ** ۖ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ **فَأَعْرِضْ** عَنْهُمْ وَ**تَوَكَّلْ** عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (٨١) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢) وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ **رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ** وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (٨٣)﴾ سورة النساء: الآية 81، 82، 83.	من الخطاب إلى الغيبة.	تعظيم شأن الرسول ﷺ.

د- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:

الموضوع	نوع الالتفات	الغرض البلاغي
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ **الرَّسُولُ** لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (٦٥) **فَلَا وَرَبِّكَ** لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾ سورة النساء: الآية 64، 65.	من الغيبة إلى الخطاب.	تعظيم شأن النبي ﷺ.

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (٨٠) **فَقَاتِلْ** فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا (٨٤)﴾ سورة النساء: الآية 80، 84.	من الغيبة إلى الخطاب.	الاستنكار الشديد.
﴿**مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ** فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ **فَمَا أَرْسَلْنَاكَ** عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ سورة النساء: الآية 80.	من الغيبة إلى الخطاب.	تبكيت المنافقين المدعين على الرسول ﷺ
﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ** مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ **وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ سورة النساء: الآية 83.	من الغيبة إلى الخطاب.	تأنيب وتنديد أحوال القوم.
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ **قَدْ جَاءَكُم** بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ **وَأَنزَلْنَا** إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾. سورة النساء: الآية 74.	من الغيبة إلى الخطاب.	كمال تشريفه سبحانه و تعالى.
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ **جَاءُوكَ** فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ **وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ** لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾. سورة النساء: الآية 63.	من الغيبة إلى الخطاب.	قصد التعبير عن مكانة الرسول ﷺ الرفيعة والعظيمة.

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ سورة النساء: الآية 78	من الغيبة إلى الخطاب.	التعبير عن الاستنكار الشديد للمنافقين.

2- الصيـــغ:

الموضـــوع	نـــوع الالتفـــات	الغـرض البـلاغـــي
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾. سورة النساء: الآية 136.	بين صيغتي الفعل الماضي (نزَّل) إلى صيغة ماضوية أخرى (أنزل).	من المبالغة والتكثير
﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. سورة النساء: الآية 142.	بين صيغتي فعل واسم.	

3- الأعـــــداد:

الموضـــوع	نـــوع الالتفـــات	الغـرض البـلاغـــي

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٤)﴾سورة النساء :الآية 13،14.	بين الإفراد و الجمع	
﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ سورة النساء: الآية 80	بين الإفراد والتثنية.	

4- البناء النحوي:

الموضوع	نوع الالتفات	الغرض البلاغي
﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ سورة النساء: الآية 27	من الجملة الاسمية إلى الجملة الفعلية	
﴿لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ۚ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. سورة النساء: الآية 162.	تحول في النسق الإعرابي	

5- المعجم:

الموضوع	نوع الالتفات	الغرض البلاغي

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا **رَبَّكُمُ** الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا **اللَّهَ** الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والأرحام إنا اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا"﴾ سورة النساء: الآية 01	رب- الله	
﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ **فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ** فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾. سورة النساء: الآية 74.	يقتل - يغلب	
﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ **نَصِيبٌ** مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ **كِفْلٌ** مِّنْهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾سورة النساء: الآية 85	نصيب- كفل	
﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ **لَكُمْ فَتْحٌ** مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ **نَصِيبٌ** قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾سورة النساء الآية 141.	فتح- نصيب	

الخاتمة

الخــاتمـــة:

وفي ختام هذا البحث نستطيع أن نلخص جملة من النتائج المتوصل إليها مفادها:

- أن مفهوم الالتفات لا يخرج مفهومه عن الانصراف والتحول من أسلوب إلى أسلوب آخر.
- الالتفات كظاهرة بلاغية مظهر من مظاهر الاعجاز البلاغي في القرآن الكريم، لذلك اهتم بدراسة علماء البلاغة في مختلف العصور قديما منهم: ابن قتيبة (ت 276 هـ)، ابن المعتز (ت 296 هـ)، أبو هلال العسكري (ت 395 هـ)، الزمخشري (ت 538 هـ)...

وحديثا: الطاهر بن عاشور (ت 1393 هـ)، محمد السيد شيخون، إبراهيم أنيس، محمد حسين أبو موسى.

- يمتاز تحليل أسلوب الالتفات بالدقة المتناهية والعمق والإحساس بمواطن الجمال في هذا النوع من البلاغة العربية، كما يمتاز بالتحليلات الرائعة والتفاسير المحكمة التي وضعت أيدينا على سر بلاغته.
- الجانب التطبيقي يبين أن أسلوب الالتفات أحد عوامل الإعجاز القرآني.
- رغم طول سورة النساء إلا أنها لم تتضمن كثيرا من صيغ الالتفات عدا ما تطرقنا إليه من الشرح والتفسير.

الحمد لله الذي بعونه أنجزنا هذا البحث لنقول إنه ما كان ليخرج إلى حيز الوجود لولا مساعدة الأستاذ المشرف د- الطيب جبايلي الذي قدم لنا كل الدعم، فله جزيل الشكر ولا ننسى بالشكر كل من قدم لنا يد العون والاستشارة والتوجيه ولو بكلمة فشكرا لهم جميعا.

قائمة المصادر والمراجع

أولا- **المصـــادر**

القرآن الكريم برواية ورش

ثانيا- المـراجـــع

أ-المعـاجـــم:

1- أساس البلاغة: الزمخشري، تح، محمد باسل، عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1419هـ، 1998م، مادة (ل.ف.م)، ج 2.

2- أساس البلاغة، الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط 1914،1 هـ، 1998 م.

3- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2003 م، 1424 هـ، ج 1.

4- القاموس المحيط: الفيروز بادي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 5، ج1.

5- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، المكتبة الإسلامية، اسطنبول، تركيا، ج 1، (د ت).

6- المنجد في اللغة: دار المشرق، بيروت، لبنان، ط 39، د ت.

7- مقاييس اللغة، بن فارس بن زكريا الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1999 م، ج 1.

8- لسان العرب، ابن منظور، تح، عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، د.ت، مادة (ب. ل. غ).

ب- التفـاسيـر:

1- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود، تخريج وتعليق وضبط: صحبي حسن حلاق، ط 1، ج 2، بيروت، لبنان، 1402، 2001.

2- الانصاف فيما تضمنه الكشاف: ابن المنير الإسكندري، ج 1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1966، (د ط).

3- التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية، تونس، د ط، 1984، ج 1.

4- التفسير الكبير الفخر الرازي، دار الكتب العلمية، طهران، ط 2، ج 9.
5- الجامع لأحكام القران الكريم: ابن كثير، راجعه ونقحه الشيخ خالد محمد محرم، بيروت، لبنان، د ط، 2003، ج 2.
6- الدر المنثور في التفسير المأثور، جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 2، 1432 هـ 2011 م، (د ط).
7- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: بن عطية الأندلسي المحاربي، ج 2، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1422 هـ.
ج 2.
8- المصحف المفسر: فريد وجدي، دار الشعب، القاهرة،مصر، دط، دت.
9- تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1413هـ، 1993م، ج 5.
10- تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الأندلسي، دار الكتب العلمية، ط 1، ج 3، بيروت، 1413 هـ- 1993 م.
11- (تفسير الخازن) باب التأويل في معاني التنزيل،الخازن، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط 2، 1375 هـ- 1955 م، ج 6.
12- تفسير السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تح: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، ط 1، 2000، ج 1.
13- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب: لفخر الرازي، ج 10، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1981.
14- تفسير القرآن الحكيم: الشهير بـ(تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، ط 2، 1366 هـ، 1947 م، ج 6.
15- تفسير الكشاف: الزمخشري (ابو قاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي)، اعتنى به وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط 3، 1430هـ، 2009م،ج 11.
16- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد الطبري أبو جعفر، ط 1، ج 4، تح: أحمد محمد شاكر، دار التربية والتراث، مكة، 2000.
17- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني: محمود شكري الألوسي البغدادي شهاب الدين، ج 2، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،

1415هـ.

18- صحيح البخاري بشرح ابن حجر العسقلاني، كتاب القران، باب تأليف القران، حديث 4993-م 9.

19- صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1423هـ، 2002م.

20- صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، دار الضياء، البليدة، الجزائر، ط 5، 1411 هـ، 1990 م، ج 2.

21- في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشرق، ط 9، 1980، م 1، 555.

22- مختصر تفسير ابن كثير: ابن كثير، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني،دار الشهاب، البليدة، الجزائر، د ط، 1411 هـ، 1990 م، ج 1.

جـ- الكتـــب:

1- إتقان البرهان في علوم القران: فضل عباس، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط 1، 1997، ج 1.

2- أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، دار المعرفة، بيروت ، 1398 هـ، 1978 م.

3- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: حسن طبل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط 1، 1431هـ، 2010م.

4- إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق: حفنى محمد شرف، ط 4، 1390 هـ، 1970 م.

5- إعجاز القرآن والبلاغة البنيوية: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 9، 1393 هـ، 1973 م.

6- الإتقان في علم القران: جلال الدين السيوطي، تج: احمد بن على، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج دار الحديث، 2004.

7- الأصول الحديثة لتدريس اللغة العربية- والتربية الإسلامية- علي الجمبلاطي، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، ط 2، د ت.

8- الإعجاز الاقتصادي في القران الكريم (دراسة تأصيلية تطبيقية): أسامة السيد عبد السميع، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ط 1، 2008.

9- الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني، شرح وتعليق و تنقيح :محمد عبد

المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 2، د ت، ج1.
10- البرهان في علوم القران: الزركشي، تح، محمود أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، ، دمشق، سوريا، ط 1، ج 3، 1983.
11- البلاغة الاصطلاحية: عبده عبد العزيز قليقلة، دار الفكر العربي، ط 4، القاهرة، د ت.
12- البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل: محمد بركات حمدي أبو علي، دار البشير، ط 1، عمان، 1992.
13- البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل: محمد بركات حمدي أبو علي، دار البشير، عمان، ط 1، 1416 هـ- 1996 م.
14- البلاغة العربية: تاريخها، مصادرها، مناهجها: علي عشري زايد، مكتبة الآداب، ط 6، 1429 هـ- 2008 م، القاهرة.
15- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: محمد حسين أبو موسى، دار الفكر العربي، د ط، د ت.
16- البلاغة الواضحة: علي الجازم، مصطفى أمين، مكتبة البشرى، باكستان، ط 1، 2010، ص 8.
17- البلاغة الوافية: محمود شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، الأزهر، القاهرة، د ط، 1988، ج 2.
18- البلاغة تطور وتاريخ: شوقي ضيف، دار المعارف، الإسكندرية.
19- التلخيص في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، تح، عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1997.
20- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ضياء الدين بن الأثير، مطبعة المجتمع العلمي، د ط، 1375هـ.
21- الجامع لفنون اللغة العربية والعروض: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط 1، 1407 هـ، 1987 م.
22- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، ج 1، ط 5، 1981.
23- اللغة والبلاغة: عدنان ذريل، مؤسسة الكتب الثقافية، ط 1، 1983.
24- المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر: ابن الأثير، تح: محمد محي الدين عبد

الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دط، 1411هـ، 1990م، ج 2.
25- المفردات في غريب القران: الراغب الأصفهاني، تح، محمد خليل عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1992.
26- الموجز في تاريخ البلاغة، مازن المبارك، دار الفكر، ط 2، 1981 م.
27- بلاغة الكتب في العصر العباسي: محمد نبيه حجاب، مكتبة الطالب الجامعي، ط 2، 1986.
28- تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية: مهدي صالح السامرائي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط 1، 1977.
29- تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها: أحمد مصطفى المراغي، مكتبة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، ط 1، 1950.
30- تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، شرحه: السيد احمد صقر، دار التراث، ط 2، 1393هـ، 1973م.
31- جوهر الكنز: نجم الدين بن الأثير، تح، محمد زغلول سلامة، الإسكندرية، مصر، د ط، د ت، ج 1.
32- دراسات لغوية: القياس في الفصحى، الدخيل في العامية: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، مصر، د ط، 1988.
34- علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة: عمر عبد الهادي عتيق، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط 1، 2012.
35- علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة، عمر عبد الهادي عتيق، دار أسامة، الأردن، ط 1، 2012.
36- علوم البلاغة (المعاني، البديع، البيان): محمد أحمد قاسم محي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط 1، 2003.
37- فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب: فتحي عبد القادر فريد، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، 1400 هـ - 1980 م.
38- قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية: عبد العزيز عبد المعطي عرفة، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1405 هـ، 1985 م.
39- كتاب البديع، عبد الله ابن المعتز، تر، أغناطوس كراتشقوفسي، دار المسيرة، بيروت،

ط 3، 1982م.

40- كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، لأبو الحسن بن سهل العسكري، تر علي محمد البخاري ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط 1، 1371هـ، 1952م.

41- مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم: محمد رفعت احمد زنجير، طبع على نفقة عبد الله احمد الموسى، الكويت، ط 1، 1428 هـ، 2007 م.

42- مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني (علم البيان، علم المعاني، علم البديع،): يوسف أبو العدوس، دار المسيرة، كلية الآداب، جامعة اليرموك، د ط، د ت.

43- مدخل إلى البلاغة العربية: (علم المعاني- علم البيان-علم البديع)، يوسف أبو العدوس، دار المسيرة، ط 1، 2007 م، 1427 هـ.

44- مصادر اللغة: عبد الحميد شلقاني، المنشاة العامة للنشر والتوزيع والإعلام، طرابلس، ليبيا، د ط، 1982.

45- معاني القران: أبو زكريا يحي بن زياد الفراء، تح: محمد علي النجار واحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت، ط 3، 1403هـ، 1983م، ج 2.

46- مفتاح العلوم: السكاكي، تح، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1420هـ، 2000م.

47- من أسرار اللغة العربية: إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط 6، 1978.

48- نظارات في الإعجاز القرآني في القران الكريم نظريا وتطبيقيا: سامي محمد هشام حريز، دار الشروق، عمان، ط 1، 2005.

49- هدى فرقان في علوم القران: غازي عناية، دار شهاب، باتنة، الجزائر، د ط، 1408 هـ، 1988 م، ج 1.

50-تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور، دار سخنون للنشر والتوزيع، تونس، 1984.

المذكرات:

1- الالتفات في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف: خديجة محمد البناني، ص 21

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

الآيــة

البسملــة

الشكـــر والعـــرفـــان

الإهـــداء

مقدمـــة: ..... أ

الفصـل الأول: بين الإعـجـــاز والبـــلاغـــة

المبحث الأول: نظـرة تـاريخيـة لعلـم البلاغـة 4

المطلب الأول: النشـأة والتطـور 4

- فـي العصـر الجـاهلـي 4
- فـي عصـر صـدر الإسـلام 5
- فـي عصـر بنـي أميـة 7

المطلب الثاني: مـرحلـة النمـو 9

- العصـر العبـاســي 9

المطلب الثالث: مرحلـة الازدهـار والتطـور "النضـج والاكتمـال 9

المطلب الرابع: مـرحلـة الجمـود والتعقيـد 11

المبحث الثاني: فـي البـلاغــة العـربيــة 12

المطلب الأول: عـوامـل نشـأة البـلاغـة العـربيـة 12

المطلب الثاني: مفهــوم البــلاغـة العـربيـة 12

المطلب الثالث: البـلاغــة اصطـلاحـا بيـن القدامـى والمحدثيـن 17

المبحث الثالث: الإعجـاز البلاغـي القـرآنــي 21

المطلب الأول: تعـريـف القـران الكـريـم والإعجـاز والمعجـزة 21

1-تـعـريـف القـرآن الكـريـم 21

2-تعـريـف الإعـجـاز والمعـجـزة 24

المطلب الثاني: البـلاغــة والقـرآن 25

المطلب الثالث: الصلـة بيـن البـلاغـة والإعجـاز القـرآنــي 28

الفصل الثاني: أسلـوب الالتفـات

المبحث الأول: مفهـوم الالتفـات 32
المطلب الأول: تعـريـف الالتفـات 32
المطلب الثاني: آراء القدمـاء والمحدثيـن فـي الالتفات 37
المطلب الثالث: بـلاغـة الالتفـات 44
المبحث الثالث: صـور الالتفـات 46
المطلب الأول: الالتفـات فـي الضمـائـر 46
الالتفات مـن التكلـم إلى الخطـاب 46
الالتفات من الخطـاب إلـى التكلـم 47
- الالتفات من الغائب إلـى التكلـم 48
- الالتفات من التكلم إلى الغائب 48
- الالتفات من الغائب إلى الخطاب 50
– الالتفات من الخطاب إلى الغائب 51
المطلب الثاني: الالتفـات فـي العـدد 52
1. الانتقال من خطاب الواحد إلـى خطـاب الاثنيـن 52
2. الانتقـال مـن خطـاب الواحد إلـى خطـاب الجمـع 53
3. الانتقال من خطـاب الاثنين إلـى خطـاب الـواحـد 53
4.الانتقـال مـن خطـاب الاثنين إلـى خطـاب الجمـع 54
5. الانتقـال من خطـاب الجمع إلـى خطـاب المفرد 54
6. الانتقـال من خطـاب الجمـع إلـى خطـاب التثنيـة 54
المطلب الثالث: الالتفـات فـي الأفعـال 55
الانتقال مـن الفعـل الماضـي إلـى فعـل الأمـر 55
الانتقـال مـن الفعـل المضـارع إلـى الفعـل الأمـر 56
الانتقـال مـن الفعل المـاضـي إلـى الفعـل المضـارع 56
الانتقال من الفعل المضارع إلى الفعل الماضي 57

المبحث الرابع: أهـداف الالتفـات 58

الفصل التطبيقـي: أسلـوب الالتفـات فـي سـورة النسـاء

المبحث الأول: التعريف بسـورة النسـاء 61
المطلب الأول: تقـديـم السـورة 61
المطلب الثاني: سبـب نـزول السـورة 61
المطلب الثالث: سبـب التسميـة 62
المطلب الرابع: تـرتيـب السـورة 62
المطلب الخامس: أهـداف السـورة 63
المبحث الثاني: أسلوب الالتفات في سـورة النسـاء 64
المطلب الأول: الالتفات فـي الضمـائـر 64
1-الالتفات مـن التكلـم إلـى الغـيبـة 64
2-الالتفـات مـن الغيبـة إلـى التكلـم 71
3-الالتفات مـن الخطـاب إلـى الغيبة 78
4-الالتفـات مـن الغيبـة إلـى الخطـاب 82
المطلب الثاني: الالتفات فـي الأعـداد 86
1-الالتفـات بيـن الإفـراد والتثنيـة 86
2-الالتفـات بيـن الإفراد والجمـع 87
الصيـغ 88
الالتفـات بيـن صيـغ الأفعـال 90
جدول تفصيلـي لصـور الالتفـات 92
الخاتمة 104
قائمة المصادر والمراجع 106
فهرس الموضوعات 113